

ياسر عبد الفتاح الاسطواني

الكلمة السواء

تأليف

ياسر عبد الفتاح الأسطواني

المحتوى

مقدمة ٥

الكلمة السواء ٧

النصرانية والمسيحية ٩

الكتاب المقدس ١٥

١ - العهد القديم ١٥

٢ - العهد الجديد ١٧

الإساءات التي نزلت بالنصرانية ٢٤

الاختلافات العددية بين الأناجيل ٣٨

التثليث في الديانة المسيحية ٤٠

ولادة عيسى عليه السلام ومبعثه ورحيله ٤٨

اختلاف أصحاب التثليث ٥٠

"أقوال السيد المسيح تبطل القول بالتثليث" .. ٦٣

الثالوث والوثنية ٦٨
الثالوث الهندي ٧٠
انتقال عقيدة التثليث إلى المسيحية ٧١
عقيدة الفداء عند المسيحيين ٧٥
إنجيل برنابا ٧٨
النبي عيسى عليه السلام ٨١
التوحيـد ٨٦
الديـن الواحـد ٩٨
انتشار الإسلام بالسيف ١١٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ٤/ ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٧٠-٧١].

أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

 

الكلمة السواء



قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٦٤].

لقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحواء وفطرهم على توحيد الإله، وسار الناس حقبة من الزمان على التوحيد، ولكن عندما كثر عددهم وازدادت معاملاتهم واحتكاكاتهم وتشاحنهم وتضاربهم نسوا التوحيد وعبدوا من دون الله آلهة أخرى، فبعث الله فيهم الأنبياء يدعونهم إلى الهداية والرشاد وإلى اتباع البر وترك المعاصي وعبادة الله الواحد القهار، ودعا هؤلاء الأنبياء جميعاً إلى دين واحد وهو دين الإسلام وهو الاستسلام لرب العالمين وتنفيذ أوامره

وتجنب نواهيه، وهو الاستسلام بالعقل والقلب والروح والوجدان والحس والمشاعر والأحوال والأعمال كلها لله الواحد الأحد.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٩]. ويقول جلّ شأنه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ١١٢].

وقد جاء من زيّن للناس الشرك فجعلوا لله شركاء في الخلق والتصرف في الكون، ثم جعلوا له أبناء وبنات وزوجة، ثم نسوا الله تعالى وعبدوا الأصنام والأوثان والكواكب، وهذا الكتيب يشرح ويناقش أصحاب هذه العقيدة بطريقة عقلانية وشرعية ليبيّن للناس الحق من الباطل، والله يهدي إلى سواء السبيل.

ياسر عبد الفتاح الاسطواني

دمشق ١ /رمضان/ ١٤٢٧

٢٣/ ٩/ ٢٠٠٦

النصرانية والمسيحية

النصرانية هي الديانة التي تدعو إلى عبادة إله واحد لا شريك له ولا ند ولا صاحبة ولا ولد، وتعتقد أن عيسى بن مريم عليه السلام رسول من عند الله وبشر من البشر آتاه النبوة وخلقه بكلمة منه من مريم البتول الطاهرة، وجعله آية لبني إسرائيل، وإن ديانته جاءت بما جاءت به شريعة بني إسرائيل، حيث حرّمت ما حرّمت شريعة موسى من المآكل والذبائح والخبائث، فحرّمت لحم الخنزير ولحم الميتة والمنخنقة، وفرضت الصوم والصلاة والختان والزكاة والغسل من الجنابة والتطهر للصلوات، وسمّوا هؤلاء بالموحدين، وكان يطلق عليهم قديماً جماعة (آريوس) ويعتمدون من الأناجيل إنجيل متى الآرامي.

والانتساب إلى النصرانية لا يعني بالضرورة الانتساب

إلى مدينة الناصرة، حيث إنه لم يرد ذكر الناصرة في أي من كتب العهد القديم، والمدينة الرئيسية في الجليل كانت صفورية، ولعل الناصرة كانت قرية صغيرة غير بعيدة عن صفورية على فرض أنها كانت موجودة. ويقول سفر متى (٢/ ٢٣): **" لكي يتم ما قاله الأنبياء أن عيسى يكون ناصرياً "**. وإن كلمة نصارى في العربية تعني النصرة، فالنصارى هم الذين نصروا المسيح.

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾ [الصف: ٦١/ ١٤].

والحواريون المشار إليهم في الآية السابقة هم أصحاب المسيح الإثنا عشر ويحتمل أنهم كانوا من طائفة الأسينين التي كان من ضمنها عيسى عليه السلام قبل بعثته، وهي إحدى الطوائف اليهودية الثلاث إلى جانب طائفة الفريسيين وطائفة الصدوقين، وكان هؤلاء الآسينيون متصفين بالصفاء الروحي وإنكار الذات ويرتدون الثياب البيض كناية عن صفاء عقيدتهم، فأطلق عليهم لقب الحواريين، أي ذوي الثياب البيض.

ولما انغمس اليهود في الفساد والوثنية وأصبحوا بحاجة إلى إصلاح ديني واجتماعي، أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام ليهديهم إلى الطريق المستقيم، " **لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضّالة**". (متى، ص ١٥/ ٢٤)، وينذرهم بالكارثة الحتمية إن هم أصرّوا على عنادهم وتمردهم ويعلن لهم أن مملكتهم ستنزع من أيديهم "**لذلك أقول لكم أن مملكة الله ستنزع منكم وتعطى لأمة توتي ثمارها**" (متى ٢١/ ٤٣).

أما المسيحية فقد استخلصت مبادئها من تعاليم بولص الرسول، التي تجعل المسيح ابناً وحيداً لله تعالى وتجعله إلهاً من إلهٍ مساوياً لأبيه في الجوهرة وبالقدرة.

وهذه التعاليم التي جاء بها بولص أبطلت الختان وأحلّت الأطعمة، وابتعدت عن التوحيد، وقد أخذ بها مجمع نيقيه عام ٣٢٥ م، الذي عقده الإمبراطور الروماني قسطنطين، وهي تقول ببنوة المسيح لله، وبأن المسيح إله حق من إله حق، وأن المسيح مساوٍ للأب في الجوهر، وقد عقد هذا المجمع في نيقيه قرب "القسطنطينه" واجتمع فيه ٢٠٤٨ أسقفاً وقد كانوا مختلفين في الآراء والأديان.

فمنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله،

وهم البرابرة، ويسمون بالريستيين. ومنهم من كان يقول إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها، وهم السابليون. ومنهم من يقول إن مريم لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر وإنما مرّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، وهي مقالة أليان وأشياعه.

ومنهم من يقول إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهرة وأن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطفي ليكون مخلصاً للجنس الإنسي، لذلك سميّ ابن الله، ويقولون إن الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهي مقالة بولص الشمشاطي بطريرك أنطاكية وهم البوليقانيون.

ومنهم من كان يقول إنهم ثلاثة آلهة لم تزل: صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة مرقيون وأصحابه.

وقد جنح الإمبراطور إلى رأي بولص الرسول الذي كان يمثله في المجمّع ٣١٨ أسقفاً ويقول إن المسيح ابن الله **(هذا ما قاله ابن البطريق)**[١] وقد صيغ القرار بالشكل التالي:

---

(١) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٣٥.

" نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء وصانع ما لا يرى وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء من أجلنا ومن أجل معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد في روح القدس وصار إنساناً وحبل به وولد من مريم البتول، وقد صلب في أيام بيلاطس ودفن وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى بين الأموات والأحياء. ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي خرج من أبيه وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجامعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقيه وبقيام أبداننا وبالحياة الأبدية أبد الآبدين "(١).

وقد تفرق المسيحيون بعد ذلك إلى طوائف كثيرة يعادي بعضها بعضاً ويبغض بعضها بعضاً، حتى سفكت دماء كثيرة في الحروب الدينية، فمن ذلك حرب الثلاثين عاماً التي نشبت بين الكاثوليك والبروتستانت في ألمانية خلال الفترة ١٦١٨ - ١٦٤٨ وقتل فيها من الشعب الألماني

---

(١) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٤٦.

حوالي سبعة ملايين من أصل عشرين مليوناً من السكان، ومن ذلك أيضاً انقسامهم إلى طوائف وكنائس كثيرة لا يزال يتزايد عددها إلى اليوم.




الكتاب المقدس

ويطلق اسم الكتاب المقدس على قسمين رئيسيين، الأول منهما يسمى:

١ - العهد القديم

وهو الكتاب اليهودي المقدس الذي قبلته المسيحية جزءاً من كتابها المقدس، وهو مجموعة من الأسفار اليهودية المقدسة، ويشتمل على ٣٩ سفراً، يطلق على الأسفار الخمسة الأولى منها "التوراة"، رغم أنه ليس لها علاقة بالتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، ولا يمنع ذلك أن نصوص وعبارات مبعثرة بقيت منها في الأصل، وقد كتبت الأسفار الخمسة في معظمها خلال فترة الأسر البابلي (٥٨٦ - ٥٣٩) ق.م، عندما تم ترحيل

اليهود من فلسطين إلى بابل خلال حكم نبوخذ نصّر.

ويسود الاعتقاد لدى علماء الكتاب المقدس أن الأسفار اليهودية تمت إعادة كتابتها وتنقيحها من أربعة مصادر رئيسية أطلقوا عليها اسم - **يهوه** - نسبة إلى يهوه أي الله تعالى، ويفترض أن هذا المصدر كتب في القدس خلال حكم النبي الملك سليمان (٩٧٥ - ٩٣٥) ق.م، أي بعد وفاة النبي موسى عليه السلام بحوالي ثلاثة قرون.

والمصدر الثاني المسمى - **إلوهيم** - كتب في السامرة حوالي عام ٨٥٠ ق.م بعد انشطار إسرائيل إلى مملكتين شمالية وجنوبية. والمصدر الثالث المسمى - **التثنينة** - بمعنى القانون الثاني، قيل أنه مخطوطة اكتشفت في القدس عام ٦٢١ ق. م، يفترض أن النبي موسى نفسه قد كتبها.

والمصدر الرابع الذي أطلقوا عليه اسم (**الأنبياء، الزبور، الحِكَم**). كتب خلال فترة أربعة قرون التي سبقت ميلاد المسيح عليه السلام. وهكذا تمت كتابة أسفار العهد القديم بعد موسى عليه السلام بفترات طويلة امتدت مئات السنين، ثم استمرت المؤسسة الدينية اليهودية في تأليف وإنتاج الكتب المقدسة بعد بعثة المسيح عليه السلام،

فأنتجت التلمود، الذي تمت كتابته بين القرن الثاني والقرن الرابع بعد الميلاد، غير أن المسيحية لا تعترف بالكتب اليهودية التي كتبت بعد بعثة المسيح عليه السلام، ومِن ثمَّ تضع التلمود بمنزلة الأساطير الوثنية.

٢ - العهد الجديد

وهو مكون من ٢٧ سَفَراً يطلق مجازاً اسم الأناجيل على الأسفار الأربعة الأولى من العهد الجديد، وهي أسفار منسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا، يفترض أنهم من دعاة المسيحية الأولى، وهذه الأسفار الأربعة كانت من جملة عشرات الأسفار التي كانت متداولة في العصر المسيحي الأول ثم أبطلها المجمّع المسكوني الأول الذي انعقد في نيقيه عام ٣٢٥ م وتقرر فيه اعتماد هذه الأربعة وإحراق الباقية.

وكافة أسفار العهد الجديد كُتبت بعد المسيح عليه السلام بوقت طويل، وأن ترتيب مواد العهد الجديد بوضعه الحالي لا يطابق الترتيب الزمني لتأليفها إذ كان أول ما تم تأليفه هو رسائل بولص كتبها خلال الفترة (٥٠ - ٦٠م) ثم تبعها تأليف السفر المنسوب إلى مرقس خلال الفترة (٧٠

- ٨٠ م) وبعده الأسفار المنسوبة إلى متى ولوقا كتبت في منتصف الثمانينات من القرن الأول. ثم تأليف السفر المنسوب إلى يوحنا خلال الفترة (١١٠ - ١٣٠ م).

وإذا علمنا أن المؤرخين حددوا وفاة عيسى المسيح عليه السلام بزعمهم ما بين عام ٣٠ ميلادية في أقل تقدير وعام ٣٧ م على أكثر تقدير، فيكون بولص قد كتب رسائله بعد وفاة المسيح بحوالي ٢٠ - ٣٠ عاماً، وتكون الأسفار الأربعة كتبت بعد المسيح بفترة ٤٠ - ١٠٠ عام، وأن مؤلفي الأسفار كانوا يعتمدون على الأقاويل وعلى ذاكرة من حولهم بعد وقوع الأحداث بعشرات السنين خالية من الإسناد. وأن رسائل بولص لم تذكر سوى القليل عن حياة عيسى عليه السلام وتعاليمه ورسالته السماوية، حيث أن بولص لم يكن من حواري المسيح ولا من صحابته، ولم يلتق به في حياته ولم يكن شاهداً للأحداث عند وقوعها، وإن جميع أسفار ورسائل العهد الجديد كتبت باليونانية أصلاً، في حين أن اللغة التي نطق بها عيسى عليه السلام كانت الآرامية أو العبرية أو كلاهما، وهما اللغتان الدارجتان في فلسطين وقت بعثته عليه السلام، وإن ترجمة تعاليمه عليه السلام بعد وفاته (بزعمهم) بعشرات السنين

من الآرامية المسموعة حسب ذاكرة من تناقلوها إلى اليونانية المكتوبة قد ألحق بها كثيراً من الضياع والتشويه.

أما السفر الخامس في العهد الجديد، فيطلقون عليه اسم" أعمال الرسل" وينسبون تأليفه إلى لوقا، وهو يروي حياة بولص.

ولا شك أن الإنجيل المشار إليه أربع مرات في القرآن الكريم ليس الأسفار الأربعة ولا إحداها، وليس العهد الجديد، ولا هو الكتاب المقدس عند المسيحية، وإنما هو الوحي الإلهي الذي نزل على عيسى عليه السلام، والذي كان معروفاً لذى اتباعه النصارى بالاسم اليوناني " إيفا نجليون" بمعنى البشارة السارة، وبعبارة أخرى إن إنجيل عيسى مختلف عن الأسفار المشار إليها التي تتحدث عن عيسى عليه السلام، ولا يناقض ذلك أن الأسفار المتعددة قد تكون اشتقت منه بعض موادها، وهكذا يبرز الفارق الكبير بين إنجيل عيسى وبين الأسفار التي كتبت عن "عيسى في وقت متأخر".

أما النسخة الآرامية الموجودة بين أيدينا اليوم، والتي تسمى (البشيتا) أي البسيطة، والمكتوبة باللهجة السريانية، فقد ترجمت عن الأصل اليوناني بعد انعقاد مجمع نيقيه

الشهير، والترجمة تمت في مدينة الرها التي كانت عاصمة اللغة السريانية في جنوب شرقي آسية الصغرى، وبعد هذه الترجمة السريانية بدأ جيروم في العام ٣٨٢ م ترجمة العهد الجديد من اليونانية إلى اللاتينية، وهي الترجمة التي اشتهرت باسم " **فالجيت**" بمعني الشعبية أو الشائعة وأصبحت فيما بعد النسخة الرسمية للكتاب المقدس عند الكنيسة اللاتينية.

أما النسخة العربية، فقد ذكر الأب شدياق أن أول نص مسيحي ترجم إلى العربية كان مخطوطاً بمكتبة القديس بطرسبرج كُتب حوالي عام ١٠٦٠ م، أما التعاليم المسيحية التي شاعت بين مسيحيي جزيرة العرب قبل هذا التاريخ فكان يتم تداولها إما شفهياً أو من مصادر سريانية أو حبشية[1].

وبحسب الأسفار القانونية الأربعة، فإن صحابة عيسى عليه السلام الإثني عشر هم:

١ - سمعان - شمعون - المسمى بطرس (الصفا)

---

(١) المسيحية والإسلام والاستشراق، ص ٥٦ بتصرف محمد فاروق الزين.

٢ - *أندراوس شفيق بطرس*

٣ - *يعقوب*

٤ - *يوحنا بن زبيدي*

٥ - *فيليب*

٦ - *بارثولوميو*

٧ - *متى*

٨ - *توما*

٩ - *يعقوب بن ألفاوس*

١٠ - *تاديوس*

١١ - *سمعان (شمعون) المشهور بالمتحمّس*

١٢ - *يهوذا الأسخريوطي*

ويلاحظ أن مرقس ولوقا المنسوب لهما كتابة سفرين من الأسفار الأربعة المعتمدة ليسا من الحواريين. ومن المستبعد جداً أن يكون مؤلف سفر "**الرؤيا**" آخر أسفار العهد الجديد هو الحواري يوحنا بن زبيدي، وهو من يهود فلسطين، لأن مؤلف سفر الرؤيا كان من يهود الشتات

الهلنستيين المتأثرين بالفكر الإغريقي الوثني، وكان مقيماً في روما في عهد الإمبراطور نيرون، أي بعد وفاة المسيح (بزعمهم) بثلاثين عاماً.

وقد كتب كبار علماء اللاهوت في أمريكا المشتركين في ندوة عيسى والذين زاد عددهم على المئتين الخلاصة التالية فيما يتعلق بتأليف الأسفار: "جميع الأسفار كانت متداولة في الأصل بدون أسماء مؤلفين لها إلى أن قررت الكنسية الأولى - كنيسة بولص - تحديد مؤلف لكل منها، وفي معظم الحالات كان التحديد نتيجة التخمين أو التمني عن حسن نية".

وقد بقيت الأسفار بدون أسماء مؤلفين لها حتى النصف الثاني من القرن الثاني، أي حوالي العام ١٨٠ م حيث كان الناس يتداولون أسفاراً كثيرة وليس فقط أربعة، حتى إن مرقص الذي كان أول من كتب سفراً فقد عرف عنه أنه كان من أبرز دعاة بولص، ولم يكن من الحواريين، وكذلك لوقا، فقد أقرّ في بداية سفره أنه لم يكن شاهد عيان على الأحداث التي يرويها قائلاً: (الذين أوصلوا الأخبار إلينا بداية كانوا من شهود العيان وكهنة الكلمة)، لوقا ٢/١.

وهكذا فقد نسب الشهادة إلى غيره وفي الوقت نفسه لم يكن من الحواريين، بل كان من الذين صاحبوا بولص واعتنقوا عقيدته، وأما السفر الذي نسب إليه فلم يكن هو، فقد كتب السفر الرابع باليونانية في وقت متأخر، أي حوالي العام (١١٠ - ١٣٠م)، ويستحيل أن يكون يوحنا بن زبيدي بقي حياً حتى ذلك التاريخ.

وبعد فتوحات الاسكندر الكبير في فلسطين ومصر حوالي العام ٣٣٠ ق.م، حدث تمازج كبير بين الفكر اليهودي الديني وبين الفكر المادي الإغريقي الوثني، وصار العلماء والمفكرون اليهود ينظرون بعين التقدير والإعجاب إلى الفلسفة اليونانية والأدب اليوناني، وأقبلوا على دراستهما في مصر وفلسطين حيث كان يوجد جالية يهودية كبيرة حتى إنه تمت ترجمة كتب العهد القديم - اليهودي - إلى اليونانية لصالح يهود الشتات، وهي الترجمة التي عرفت باسم "السبعينية".

وقد كتب البروفسور فنك مؤسس ندوة عيسى مطالباً بوجوب: "الإعلان صراحة أن العهد الجديد لم يكن سوى سجلٍ لمحاولات متعددة في وقتها متحيزة وغير متوازنة لاختراع المسيحية - في مقابلة النصرانية - وأنه

يجب إعادة فتح الموضوع لدراسة وتحديد الوثائق التي يمكن أن تعتبر نصرانية"(١).

الإساءات التي نزلت بالنصرانية

يقول "درابر" : دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوماً من الأيام، وكذلك كان قسطنطين، فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلاً في آخر عمره (٣٣٧ م).

إن الجماعة النصرانية وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولّت قسطنطين الملك، ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها، وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء، هنالك يختلف الإسلام عن النصرانية، إذ قضى الإسلام على منافسة (الوثنية) قضاءً باتاً ونشر عقائده خالصة بغير غش.

---

(١) (Funk HTJP. 314)

ولم تستطع هذه النصرانية الملقحة بالوثنية المشوهة أن تغير من سيرة الروم المنحطة، وأن تبعث فيهم حياة جديدة، حياة دينية نقية طاهرة، وأن تفتح عهداً زاهراً في تاريخ الروم، بل أنها ابتدعت رهبانية لعلها كانت شراً على الإنسانية والمدنية من بهمية رومة الوثنية وهناك أمثلة من كتاب تاريخ أخلاق أوربة.

ظل تعذيب الجسم مثلاً كاملاً في الدين والأخلاق إلى قرنين، وروى المؤرخون في ذلك عجائب. فحدثوا عن الراهب ماكاريوس أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام، وكان يحمل دائماً نحو قنطار من حديد. وكان صاحبه الراهب يوسيبيس يحمل نحو قنطارين من حديد، وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزح، وقد عبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة. ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة، وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائماً وإنما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر، ويأكل كثير منهم الكلأ والحشيش. وكانوا يعدون نظافة الجسم منافية لنقاء الروح،

ويتأثمون عن غسل الأعضاء وأزهد الناس عندهم وأتقاهم، أبعدهم عن الطهارة، وأوغلهم في النجاسات والدنس، وكان الرهبان يتجولون في البلاد ويختطفون الأطفال ويهربونهم إلى الصحراء والأديار(١).

هذا ناهيك عن عداوة الكنيسة ورجالها للعلم والعلماء، حيث قام رجال الكنيسة المتصرفون بزمام الأمور في أوربة، فكفّروا العلماء واستحلوا دماءهم وأموالهم في سبيل الدين المسيحي، وأنشؤوا محاكم التفتيش التي تعاقب - كما يقول البابا - أولئك الملحدين والزنادقة الذين هم منتشرون في المدن وفي البيوت والأسراب والغابات والمغارات والحقول، حتى يقول عالم نصراني: "لا يمكن لرجل أن يكون مسيحياً ويموت حتف أنفه".

ويقدر أن من عاقبت هذه المحاكم بثلاث مئة ألفاً، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألف أحياء، كان منهم العالم الطبيعي المعروف "برونو" نقمت منه الكنيسة آراء من أشدها قوله بتعدد العوالم، وحكمت عليه بالقتل واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه، وكان ذلك يعني أن يحرق حياً،

---

(١) تاريخ أخلاق أوربة "ليكي".

وكذلك كان. وهكذا عوقب العالم الطبيعي الشهير "**غليلو**" بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس.

ذكرنا سابقاً أن أسفار العهد القديم وكذلك أسفار العهد الجديد قد كتبت بعد فترة طويلة من بعثة موسى وعيسى عليهما السلام، وقد كتبها مؤلفوها من السماع لأناس لم يكن لأغلبهم مصاحبة لأولئك الرسل، لذا فقد طرأ عليها التحريف والتبديل، وإليك بعض الأمثلة:

■ مظاهر التحريف والتبديل

" إن يورام لما كان عمره اثنتين وثلاثين سنة نصبوه ملكاً، وقد تملك ثماني سنين ومات، وأقيم بعده ابنه أخزيا وكان عمره اثنتين وأربعين سنة، وملك سنة واحدة"، "**الإصحاح ٢١ و ٢٢ من سفر الأيام الثاني**". ووجه التحريف أن يورام لما مات كان عمره أربعين سنة، فكيف يصح أن يكون عمر ابنه أخزيا إذ ذاك اثنتين وأربعين سنة كأنه خلق قبل أبيه بسنتين. فإن قيل في حل هذا الإشكال قد ذكرت هذه القصة في سفر الملوك الرابع، وأنه لما مات يورام ابن أربعين سنة، أوقفوا ابنه أخزيا عوضه، وكان عمره اثنتين وعشرين سنة، وهذا هو الحق. يجاب نعم ولكن هذا الجواب لا ينفي التحريف، بل

يؤكده لبقاء الفرق بين سفر الأيام الثاني وسفر الملوك الرابع، وهذا هو المطلوب لبيان التحريف لأن في التوراة اليونانية ذكر في السفرين أن أخزيا كان ابن اثنتين وعشرين سنة لما تملك.

يقول **الأستاذ عصام الدين حفني ناصيف** كاشفاً التزوير الذي اقترفه كتاب التوراة: " من ذلك ما زعموه أن يعقوب وأسرته وفدوا على مصر بدعوة يوسف وكان عدتهم ٧٠ شخصاً، فما انصرفت ٢١٥ عاماً حتى كان عددهم قد ناهز ثلاثة ملايين، فلما نزحوا عن ديارنا كان بينهم نحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد"، **سفر الخروج** (١٢ : ٣٧).

وقد أحصوا أبكارهم فكان جميع الأبكار الذكور بعدد الأسماء من ابن شهر فصاعداً المعدودين منهم **٢٢٢٧٣** "**عدد ٣: ٤٣**"، فإذا ضاعفنا هذا الرقم كان جميع الأبكار من الجنسين نحو (٤٥) ألفاً، وبقسمة عدد الجماعة على عدد الأبكار، نخلص إلى أن المرأة الإسرائيلية كانت تلد زهاء ٦٥ وليداً!!!

ويقول **عصام ناصيف**: "إن هذه الملايين الثلاثة المزعومة من اليهود الآبقين من مصر لو أنها سارت في

صفوف عرضية متراصّة يضم كل منها عشرين يهودياً ويشغل الصف بين سابقه ولاحقه متراً واحداً، لاستطال هذا القطار البشري "الطابور" مسافة ١٥٠ كيلو متراً أبعد من المسافة بين القاهرة وخليج السويس، ولتعذر على قائدهم موسى عليه السلام أن يبلغهم أوامره".

- **ومن دلائل التحريف:**

أن أحد الأنبياء زنى بابنته أو زنى بزوجة غيره وقتله بالحيلة، أو عبد العجل، أو ارتدّ في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى المعابد لها أو افترى على الله الكذب، وكذّب في التبليغ وخدع بكذبه نبياً آخر مسكيناً وألقاه في غضب الرب أو أن داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد ولد الزنا وهو "**فارض بن يهوا**" أو أن الرسول الأعظم أبا الأنبياء زنى ابنه الأكبر بزوجة أبيه وابنة الثاني بزوجة ابنه، وسمع هذا النبي العظيم الشأن ما صدر عن ابنيه المحبوبين، وما أجرى عليهما الحد، غير أنه دعا على الأكبر وقت موته لأجل هذه الحركة الشنيعة ولم ينقل في حق الآخر الغضب أيضاً، بل دعا له بالبركة التامة عند الموت، أو أن الرسول العظيم الآخر البكر الثاني أيضاً الزاني بزوجة غيره زنى ابنه الحبيب بابنته الحبيبة وسمع

وما أجرى عليهما الحد لعله امتنع عن الحد لأنه كان مبتلى بالزنا أيضاً في زعمهم، فكيف يجرى على غيره بما لم يجره على أولاده، وهذا القدر مسلم بين اليهود والنصارى ومصرّح به في كتب العهد القديم المسلمة عند الفريقين.

وتفصيل ذلك هو أن:

- *روبيل بن يعقوب زنى مع بلها سرية أبيه.*
- *يهوذا بن يعقوب زنى بزوجة ابنه تامار.*
- *داود زنى بزوجة القائد أوريا.*
- *لوط زنى بابنتيه.*
- *دينة، ابنة يعقوب تزني مع شكيم ابن حمور.*

■ **"نوح يشرب الخمر ويسكر ويلعن ابنه كنعان"**

"وشرب من الخمر فسكر وتعرى في خبائه فأبصر "حام" أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ "سام" و "يافث" الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، فلما استيقظ "نوح" من خمره علم ما فعل ابنه الصغير فقال: ملعون "كنعان" عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله "سام" وليكن كنعان

عبداً لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن "كنعان" عبداً لهم .(**سفر التكوين، الإصحاح ٩**).

■ **"لوط يسكر ويزني بابنتيه"**

"فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة، أبونا قد شاخ وليس على الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقِ أبانا خمراً ونضطجع معه، فننجب من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغرى: "إني قد اضطجعت مع أبي فاسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي واضطجعي معه، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه "موآب" وهو أبو الموآبيين إلى اليوم .(**سفر التكوين، الإصحاح ١٩**).

■ **إبراهيم الخليل عليه السلام يرسل زوجته إلى فرعون مقابل زريبة من الغنم**

".... وحدث لما قرب إلى مصر أنه قال لساراي امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذ رآك

المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك. فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم، وبقر وحمير وعبيد، وإماء وأتن وجمال.

فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة... فدعا فرعون أبرام وقال: "ما هذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني أنها امرأتك... خذها واذهب" .(سفر التكوين، الإصحاح ٢١).

- **يعقوب يسرق النبوة من أخيه عيسو عند أبيه**

"وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتي به، وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً: ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي، فالآن يا ابني اسمع لقولي فيما أنا آمرك به: اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يجب، فتحضرها

إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقه أمه: هو ذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس، ربما يجسني أبي فأكون في عينه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة لا بركة. فقالت له أمه:.. اسمع لقولي فقط..وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر وألبست يديه وملامسة عنقه جلود جدي المعزى.. فدخل إلى أبيه وقال يا أبي، فقال: ها أنذا، من أنت يا بني؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني، قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك، فقال اسحاق ليعقوب تقدم لأجسّك يا ابني. أأنت هو ابني عيسو أم لا.. فجسّه وقال: الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو.. فباركه.. وقال فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض لتستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل. كن سيداً لإخوتك وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين" (سفر التكوين، الإصحاح ٢٧).

■ **"الزنا في بيت يعقوب عليه السلام"**

وخرجت "دينة" ابنة ليه التي ولدتها ليعقوب ... فرآها شكيم ابن حمور الحوي رئيس الأرض وأخذها واضطجع

معها وأذلها وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة، فكلم شكيم حمور أباه قائلاً خذ لي هذه الصبية زوجة، وسمع يعقوب أنه نجّس دينة ابنته... فسكت حتى جاؤوا (أي أبناؤه) [ثم بعد أن عرض عليهم حمور مصاهرتهم].. فأجاب بنو يعقوب شكيم حمور أباه بمكر.. فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر، أن نعطي أختنا لرجل أغلف.. إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم.. واختتن كل ذكر، فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين (أي بسبب الختن) أن ابني يعقوب شمعون ولاوي، أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم بحد السيف ونهبوا المدينة وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت..." .(سفر التكوين، **الإصحاح ٣٤**).

- **"حاجة الله إلى استراحة" - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.**

"وفرغ الله في اليوم السادس من عمله فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً .(سفر التكوين، **الإصحاح الثاني**).

- **"الله يجهل ما قام به آدم وحواء في الجنة"**

"وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت، فقال: من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها" .(سفر التكوين، **الإصحاح الثالث).**

- **"الله تعالى يحزن على خلقه لآدم"**

"فحزن الرب أنه عمل الإنسان، وأن كل تصّور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته... الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم..." . (سفر التكوين، الإصحاح السادس).

- **"ندم الإله على إغراق الأرض بالطوفان ووضعه علامة تذكرة حتى لا يعاود إهلاك الحياة"**

"وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً: ... أقيم ميثاقي معكم

فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان، ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض، وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر، وضعت قوسي في السحاب، فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب... فمتى كان القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض..." . (سفر التكوين، الإصحاح التاسع).

■ "ابراهيم يدعو الله وملائكته إلى وليمة دسمة"

"وظهر له الرب... ونظر وإذا ثلاثة رجال، وقال: يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينك فلا تتجاوز عبدك... فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال: اعجني واصنعي خبز ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رمضاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة وأكلوا وقالوا له.... ويكون لسارة امرأتك ابن، فضحكت سارة في باطنها قائلة: بعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ! فقال

الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة...؟ هل يستحيل على الرب شيء". (سفر التكوين، **الإصحاح الثامن عشر**).

■ **"فوز يعقوب بلقب إسرائيل بعد صراعه مع الله"**

" فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال: أطلقني، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني! فقال له ما اسمك؟ فقال يعقوب، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل... وسأل يعقوب وقال: أخبرني ما اسمك، فقال: لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان "فنوئيل" قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي... لذلك لا يأكل بنو إسرائيل "عرق النسا" الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه "الله" ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا" .(سفر التكوين، **الإصحاح الثاني عشر**).

الاختلافات العددية بين الأناجيل

	العبرانية	اليونانية	السامرية
١- الزمان من خلق آدم إلى زمن الطوفان	١٦٥٦	٢٢٦٢	١٣٠٧
٢- الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم	٢٩٢	١٠٧٢	٩٤٢
٣- الزمان من خلق آدم إلى ميلاد المسيح	٤٠٠٤	٥٨٧٢	٤٧٠٠
٤- موضع بناء الهيكل (المسجد)	جبل عيبال	-	جبل جزريم

٥ - ورد في الآية الرابعة من الباب الثاني عشر من سفر الخروج في النسخة العبرانية: "فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل في أرض مصر أربع مئة وثلاثين سنة"، وفي النسخة اليونانية "فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر أربع مئة وثلاثين سنة".

وهذه الأمثلة من التحريف قليل من كثير، ولو أردنا أن نتتبع ما حوت الأناجيل لضاقت بنا صفحات هذا الكتاب.

وهل يصدق عاقل أن أنبياء الله سكارى وزناة ومحتالين، وهذه الأناجيل تحتوي كل هذه المنكرات وتقول إنها من عند الله!!!

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٧٨].

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٥٠/ ٣٨].

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ٥٠/ ١٦].



التثليث في الديانة المسيحية



يرى فلاسفة المسيحية أن الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم[1] أي ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهي الذات والنطق والحياة، فالله موجود بذاته ناطق بكلمته، حي بروحه. وكل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطيه وصفاً معيناً أو مظهراً خاصاً.

فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي	الأب
وإذا نطق فهو	الابن
وإذا ظهر كحياة فهو	الروح القدس

(١) الأقانيم كلمة سريانية الأصل مفردها أقنوم، وهي تعني شخصاً أو كائناً متنقلاً بذاته.

ويقول القس إبراهيم إبراهيم في كتابه **"التثليث والتوحيد"** :

إن الذات والد للنطق، فيقال له الأب.

والنطق مولود من الذات فيقال له الابن

والحياة منبثقة من الذات، فيقال لها الروح القدس.

ويقول الأستاذ **ياسين منصور** في كتابه **"التثليث والتوحيد"** "أنه لا يمكننا أن نفهم الله إلا عن طريق تصوره بالصورة البشرية". غير أن دعاة الثالوث منحوا الله هذه العناصر الثلاثة (الكيان، والنطق، والروح) قد منحوها له بشروط وأوضاع خاصة، فهم قد قسّموا الله إلى ثلاثة أقسام منحوا كل قسم منها صفة من الصفات منعوها من القسم الآخر، في حين أن تلك العناصر والصفات تجتمع كلها في الإنسان الواحد ولا تجتمع في الله.

فبينما نجد الإنسان كائناً بذاته دائماً وناطقاً بكلمته دائماً وحياً بروحه دائماً. نجد الله لا يكون كائناً بذاته إلا حين يسمى الأب، فبصفته كائن بذاته فهو الله الأب، فإذا تخلت عنه صفة الأبوة وتحول فأصبح ابناً، تتخلى عنه صفة الكينونة والذات ويصبح فقط ناطقاً بكلمته، كذلك إذا

تحول الله إلى روح القدس، تخلت عنه الصفتان السابقتان وصار فقط حياً بروحه، هكذا يتحول الله ويتغير طبقاً للدور الذي يظهر به وتبعاً للاسم الذي يخلع عليه(١).

وكما مثل بعضهم الله في عناصره وأقانيمه الثلاثة بالإنسان مثله آخرون بالشمس، فالشمس أيضاً كالله تماماً تتكون من ثلاثة عناصر أو أجزاء هي جرم الشمس وشعاع الشمس وحرارة الشمس، فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع والجرم، والكل شمس واحدة. ولكن لم ينتبهوا إلى أن الكائن الواحد قد تكون له عدة صفات.

فقد يكون طويل القامة، أسمر اللون، ذكي العقل، وقد تنسب له صفات أخرى، فهل قلة الصفات أو كثرة الصفات تعني تعداداً في الذات، وهل يجوز أن يطلق اسم الشخص نفسه على صفة الطول أو السمرة أو الذكاء، وهل يتصور أن تنفصل إحدى الصفات المذكورة ليطلق عليها الرصاص أو تتدلى من حبل المشنقة أو تسمر على خشبة الصليب؟

---

(١) الله واحد أم ثالوث. "محمد وجدي مرجان"، ص ٩ وما بعدها، مع بعض التصرف.

إن الشمس واحدة، ولكن استدارتها وحرارتها وإضاءتها وكثافتها صفات لها أعراض لذاتها، والصفة لا تسمى ابناً ولا خالاً ولا عماً. والمسلمون يثبتون للإله الواحد عشرات الأوصاف الجليلة التي وصف الله بها نفسه ورسوله. بيد أن إثبات الأوصاف شيء بعيد كل البعد عن القول بأن الأب هو الابن، وهو الصديق، وإذا سأل سائل إن كانت الشمس هي القرص والحرارة والأشعة، فهل يمكن القول بأن الحرارة مثلاً ثلث الشمس؟

وكذلك مثل بعضهم الله في عناصره وأقانيمه الثلاثية بالتفاحة، فكما أن التفاحة لها ثلاث خواص هي الذات والطعم والرائحة، ويمكن التمييز بين هذه العناصر الثلاثة وإن كانت التفاحة واحدة، فالرائحة مثلاً غير الذات والطعم، والذات علة الطعم والرائحة، وكما أن التفاحة لا توجد بلا طعم، والرائحة كذلك، لا يمكن تصور الأب بدون الابن والروح القدس، فبغير هذه الأقانيم لا يتأيد وجود الله، والإنسان عندما يأكل التفاحة، فإنه يأكل الذات وبحاسة الذوق يميز الطعم وبحاسة الشم يميز الرائحة.

وقد نسى هؤلاء المشبهون أن التفاحة لها أيضاً لون

يميزه الإنسان بحاسة الإبصار، أو لها ملمس ونعومة، يميزها الإنسان بحاسة اللمس، أو لها أيضاً حجم وشكل معين... فهل نضيف أقانيم أخرى لله قياساً على عناصر وخواص التفاحة..!!

ويقول القس بولس إلياس إن الله عبارة عن عائلة تتكون من ثلاثة أعضاء أو ثلاثة كائنات، وكل كائن منها غير الآخر، وكل عضو فيها مستقل عن الآخر، ولكن بين أعضاء هذه الأسرة الإلهية علاقات وأواصر متينة ظاهرة وخفية، عاطفية وحسية أيضاً، وقد نتج عن العلاقة بين أقنومي الأب والابن ثمرة هي أقنوم الروح القدس.فإذا كان كل أقنوم على حده يسمى إلهاً، وتعددهم حتم بناء على ذلك لأن أحدهم ترك الآخر يصلب، فمن يدري بعد، فقد يشتاق الأب إلى ابنة أيضاً تكون أختاً للابن، ويمكن أيضاً مع الزمن تصور إضافة أعضاء جدد للأسرة الإلهية يتم بها نموها ويكثر عددها ويساعد بعضها بعضاً، ومع الزمن يصبح الأب جداً ويصبح الابن أباً وتصبح الابنة أماً وينجبون ثمرات وأحفاداً.

ومنهم من يقول إن الله هو إله واحد مقسم إلى ثلاثة آلهة ليست مستقلة بعضها عن بعض، حيث يقول الأستاذ

عوض سمعان[1] "الله واحد وثالوث، فهو واحد من جهة وثالوث من جهة أخرى، فكما أن الإنسان واحد في مظهره، وفي الوقت نفسه هو جوهرياً مكون من ثلاثة عناصر هي الجسد والنفس والروح.

كذلك الله فهو واحد من جهة، وجامع أو شامل من جهة أخرى دون أي تعارض أو تناقض في ذاته، فالله واحد من جهة الجوهر أو الباطن، وهو جامع من جهة التعيُّن أو الظاهرية، وجوهر الله يسمى "اللاهوت" أي الله في جوهره، وهذا الجوهر نفسه بالنظر إلى تعيينه وظهوره هو "الله".. فالله هو اللاهوت معيناً واللاهوت هو الله جوهراً، أي إن الله هو اللاهوت ظاهراً، واللاهوت هو الله مستتراً، والله واللاهوت واحد لأن جوهر الله هو عين تعينه وتعينه هو عين جوهره".

وعليه، فإن الأستاذ عوض سمعان يقرر أن الله ليس واحداً بل ثلاثة، فرغم ظهوره للناس على أنه واحد، إلا أنه في حقيقته وداخليته ثلاثة آلهة، فهو واحد من جهة، وثلاثة من جهة أخرى. واحد في الظاهر وثلاثة في الباطن.

---

(١) الله بين الفلسفة والمسيحية، ص ٩٧ وما بعدها.

فهذه أقانيم ثلاثة متحدة بإله واحد، فإذا قال قائل بأنه قد صُلب عيسى المسيح عليه السلام بزعمهم، فمن كان يدير العالم إذاً بعد ما قتل خالقه، بل كيف يبقى العالم بعد أن ذهب موجده، والعالم إنما يستمد وجوده لحظة بعد أخرى من الحي القيوم جلّ جلاله.

ونسبة الولد إلى الله تعالى عقيدة قديمة قبل المسيحية، فقد نسبت بعض الشيع قديماً الولد لله كما نسب إليه بعضها الزوجة والصاحبة، فقدماء اليونانيين قالوا بتزاوج الآلهة مع بني البشر، وكانوا يقولون إن النسل المتولد عن هذا التزاوج له صفات الألوهية.

وادّعت بعض شيع العرب في الجاهلية أن الملائكة هم بنات الله ظناً منهم أن ذلك يرضي الله لما علموه من تكريم الله للملائكة. ولكن أبرز وأظهر دعوة في نسبة الولد والصاحبة لله هي الدعوة التي تراها اليوم في العالم المسيحي، حيث أن اليونايين الذين دخلوا الدين المسيحي أدخلوا معهم بعضاً من معتقداتهم، فكانوا يعتقدون بتزاوج الآلهة مع بني البشر، فلما لم يجدوا أن المسيح تولد من أب معروف، أخذوا يعتقدون بأنه قد يكون الإله تزوج من مريم العذراء فولدت المسيح. وقد استطاع بولص أن يوجد

أوجه تشابه بين عقيدته وبين معتقداتهم، مما جعلهم يشعرون بالألفة، إذ سمح لهم أن يحتفظوا بعقائد واحتفالات ومناسبات سبق لهم أن اعتادوا عليها. ومن ذلك اتخاذ أيام الآحاد كعطلة، والاحتفال بعيد الميلاد يوم ٢٥ ديسمبر، حيث أنها تعود في أصلها إلى عَبَدَة ميثراس الذين كانوا يقدسون أيام الآحاد، أما يوم ٢٥ كانون الأول فكان عيد ميلاد ميثراس عندهم، وكذا الأمر عند الزرادشتيين الذين كانوا يعظمون يوم ٢٥ كانون الأول باعتباره يوم ميلاد إله الشمس أو النور أو النار.

وقد أصدر الإمبراطور الروماني أورليان في العام ٢٧٤ ميلادي، أمراً حدد فيه يوم ٢٥ ديسمبر عيداً لميلاد إله الشمس التي لا تقهر، وهو نفس إله الشمس اليوناني هليبوس المكافئ لإله النور ميثراس، ثم بعد انعقاد مجمع نيقيه تقرر اعتماد يوم ٢٥ ديسمبر عيداً لميلاد المسيح مع أنه لا يوجد في العهد الجديد ما يبرر تحديد هذا التاريخ، حيث أنه هناك عدة تواريخ محتملة لميلاده عليه السلام تتراوح من آذار إلى تشرين الثاني، وهي الفترة الزمنية التي يخرج فيها الرعاة إلى الحقول مع مواشيهم في المناخ الفلسطيني، حيث تلقوا بشارة الملائكة بميلاده عليه

السلام. وكلمة المسيح مشتقة في العربية والعبرية من فعل: "مَسَحَ" والمقصود أنهم كانوا يمسحون الكاهن أو الملك بالزيت كناية عن تعيينه في المنصب وتحميله مسؤولية الحكم، ويصبح بذلك مسيحاً، وعيسى عليه السلام لقب مسيحاً بمعنى أن الله تعالى اختاره للبعثة.

ولادة عيسى عليه السلام ومبعثه ورحيله

إن تاريخ ولادة عيسى المسيح عليه السلام، ومدة بعثه وتاريخ رحيله، كل ذلك غير معروف على وجه التحديد، ولكن الأسفار تفيد أن بعثة المسيح تبعت بوقت قصير بعثة يحيى المعمدان عليهما السلام، وبصورة خاصة قبل إعدام يحيى عليه السلام في السجن من قبل ملك اليهود في الجليل هيرود أنتيباس (٤ ق.م - ٣٩ م)، وبحسب سفر متى، يفترض أن تكون ولادة عيسى تمت في عهد هيرود الكبير ملك اليهود (٣٧ ق.م - ٤ ق.م) "متى٢/ ١"، وحيث أن هيرود مات عام (٤ ق.م).

فيفترض أن تكون ولادة عيسى قبل ذلك أو في العام نفسه على أكثر تقدير. وتقول قصة لوقا إن عيسى كان في أوائل الثلاثينات عندما بدأت بعثته (لوقا ٣/ ١ - ٢٣)،

حيث يذكر صراحة أن بعثة يحيى بدأت في العام الخامس عشر من حكم الإمبراطور طيباريوس، وحيث إن حكم هذا الإمبراطور كان خلال الأعوام (١٤ م - ٣٧ م) فيكون العام الخامس عشر من حكمه هو العام ٢٩ ميلادي بداية بعثة يحيى، وعلى فرض أن بعثة عيسى تبعتها بعام واحد، فعندها يتراوح سن عيسى بين ٣٤ - ٣٧ عاماً، غير أن سفر يوحنا يحدد أن عيسى كان في الأربعينات من عمره خلال بعثته إذ يقول تحديداً: "دون الخمسين عاماً". (يوحنا ٨/ ٥٧).

ولكن لوقا يذكر أيضاً أن عيسى كان في الثلاثين من عمره عندما بدأت بعثته (لوقا ٢/ ٢٣)، وهذه المعلومة من لوقا تقتضي أن عيسى ولد في العام ١، وذلك كما يبدو كأنه الأساس في التقويم الميلادي الحالي.

أما السنة التي رفع فيها المسيح، فيجب أن تكون بحسب الأسفار خلال فترة حكم الوالي الروماني بيلاطس على فلسطين (٢٦ م - ٣٧ م) فمادام أن عيسى رُفع خلال حكم بيلاطس، وقطعاً بعد استشهاد يحيى، فلزم أن يكون الرحيل بعد العام ٣٥ ميلادي، أو في العام ٣٧ ميلادي على أبعد تقدير. وهكذا يكون رحيله في سن ٤١ - ٤٤

عام، مما هو أقرب إلى سفر يوحنا الذي يذكر تحديداً أن عيسى كان دون الخمسين عاماً. وبناء عليه تكون بعثة عيسى عليه السلام ما بين ستة إلى ثمانية أعوام.

اختلاف أصحاب التثليث

إن أصحاب الثالوث قد اختلفوا وتفرقوا، فذهب كل منهم في فهم الثالوث مذهباً.

يقول القديس آريوس أسقف الإسكندرية في القرن الرابع الميلادي "الأب وحده الإله الأصلي الواجب الوجود، أما الابن والروح القدس، فهما كانا قد خلقهما الله ليكونا وسيطين بينه وبين العالم، وهما مشابهان له في الجوهر ولكن ليس واحداً منهما فيه، وأنه لا فضل ولا قيمة للابن والروح القدس إلا بما تفضل به الأب عليهما... ".

ويقول الأسقف مقدونيوس الذي كان بطريركاً للقسطنطينية، فيقول: "أن الأب والابن فقط هما من جوهر واحد، أما الروح القدس فهو مخلوق مصنوع... ". أما الأسقف أبو لينارس فيقول: "أن الأقانيم الثلاثة الموجودة في الله متفاوتة القدر، فالروح القدس عظيم

والابن أعظم والأب هو الأعظم، ذلك أن الأب ليس محدود القوة ولا الجوهر، أما الابن فهو محدود القوة والجوهر، والروح القدس محدود القوة والجوهر". وقد أورد القديس يوحنا في إنجيله قول السيد المسيح عليه السلام "أبي أعظم مني" (يوحنا ١٤/ ٢٩).

وأما القديس أثناسيوس، فيقول: "إن الأقانيم الثلاثة معاً هم الله الواحد، لأن جوهرهم وهو اللاهوت واحد. وليس في الثالوث أول أو آخر، ولا أكبر أو أصغر، فالأب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، وكلهم هو الله..." وكلٌ منهم أزلي، وهم جميعاً متساوون في القوة والعظمة.

وهنا يرد السؤال التالي: إذا كان لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة نفس خصائص وصفات الأقنومين الآخرين، إذن فما الداعي للتكرار؟ وما معنى وجود ثلاثة أقانيم أو ثلاثة آلهة على صورة واحدة متكررة، ألا يغني وجود أحدهم عن وجود الأقنومين الآخرين؟

ومن الفلاسفة من يميل إلى تعظيم الأقنوم الثاني (الابن) ويرفعه عن بقية الأقانيم مسترسلاً وراء معظم كتاب الأناجيل، حيث أن عنوان العهد الجديد الذي يحوي

الأناجيل الأربعة ورسائل الحواريين هو "العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح". ولا يرد عن الأب والروح القدس إلا القليل.

يقول القس توفيق جيد إن الأقنوم الثاني (الابن) هو رب القدرة المعجزية، وهو مصدر البركات الروحية، وهو موضوع الصلاة التعبدية، وموضوع الآمال الأبدية"[1].

ويقول الأستاذ ياسين منصور في كتابه "رسالة التثليث والتوحيد" أنه قام بعمل إحصائية عن عدد المرات التي أطلق فيها لفظ رب على كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة في الأناجيل ورسائل الرسل الحواريين، فوجد أن الله الابن قد دعي رباً ٤٦٢ مرة، والله الأب ١٤٤ مرة، وروح القدس ٥ مرات دعي رباً.

والغريب في أمر أصحاب الثالوث أنهم رغم اختلاف نزعاتهم وتعدد مشاربهم، فإن كل واحد منهم يصور الصواب في جانبه، والخطأ في جانب كل من يخالفه. أما القديس برنابا الذي شاهد ورافق المسيح الإنسان رفض القول بتأليهه، ورفض دعوة الثالوث والأقانيم، وانفصل

---

(١) سر الأزل. ص ٣٠.

عن صديقه بولص وكتب رسالة يشرح فيها الحقيقة للناس محذراً إياهم من قبول التعاليم المخالفة.

يقول برنابا في مقدمة إنجيله: "أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً. مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولص الذي لا أتكلم عليه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي من أجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحدٍ يبشركم بتعليم مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً".

ويقول الله تعالي جلّ جلاله في القرآن الكريم: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١٧/ ١١١].

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾ [النساء: ٤/ ١٧١].

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٥/ ٧٢].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥/ ٧٣].

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ١٦/ ٥١].

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٢٢].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٤٢].

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ١٩/ ٨٨-٩٤].

فهذه الخلافات الجوهرية بين أصحاب الثالوث أنفسهم وبينهم وبين معارضيهم إنما تدل على غموض تلك العقيدة وعدم اقتناع أصحابها بها لمخالفتها لمنطق عقولهم وسوية فطرتهم، لأن الفطرة تدعو إلى التوحيد وجاءتهم ظروف فرضت فيها التثليث. وقد يلجأ بعضهم إلى المزج بين العقيدتين فيقول بتثليث في وحدانية، أو بوحدانية في تثليث، ولكن هذا المزج على استحالته يزيد الأمر تعقيداً ويزيد اللغز غموضاً، فكيف يكون الواحد ثلاثة..! وكيف يكون الثلاثة واحداً؟

قال أحد العلماء المسلمين[1] في مناظرة له مع أحد القسيسين: "تقولون بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد "عيسى"، أو تقولون بأن الإله حل بكليته في "عيسى"، أو تقولون بأن الإله حل بعض منه وجزء منه فيه، وكل هذا باطل.

أما الأول، فلأن إله العالم لو كان ذلك الجسم، فحين قتله اليهود، كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله؟

---

(١) الفخر الرازي رحمه الله.

أما الثاني، وهو أن الإله بكليته حل في هذا الجسم، فهو قول فاسد، لأن الإله إن لم يكن جسماً ولا غرضاً امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسماً فحينئذٍ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم، وذلك يتوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً، كان محتاجاً إلى المحل، وكان الإله محتاجاً إلى غيره، وكل ذلك سخف. أما الثالث، وهو أنه حلّ فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه، فذلك أيضاً محال، لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب ألا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهية لم يكن جزءاً من الإله، فثبت فساد هذه الأقسام وصار القول باطلاً".

وإذا افترضنا مع أصحاب الثالوث أن هناك ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم إلهية أزلية، فإما أن تكون هذه الآلهة الثلاثة قد اتفقت سوياً على خلق الكون وترتيب نظامه، وإما أن تكون قد اختلفت فيما بينها حول ذلك. فإذا كانت الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت على أن تقوم معاً بهذه المهمة، فمعنى ذلك احتياج كل أقنوم أو إله منها إلى الآخر، وعدم استقلال أي منها في عمله وعجز أي إله منها عن القيام

بالعمل وحده، وهذا العجز ينفي عنه صفة الألوهية، ذلك أن العجز من صفات المخلوقات، أما الإله فلا يمكن أن يكون عاجزاً ولا أن تتوقف قدرته على سواه.

فإذا افترضنا أن الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت فيما بينها على اقتسام مهمة الخلق وعلى توزيع العمل فيما بينها، فيقوم الإله الأب مثلاً بخلق السماوات والسيطرة عليها، ويقوم الإله الابن بخلق الأرض والبحار والتحكم فيها، ويقوم الإله الروح القدس بخلق بقية الكون، وتسيير دفته، فإن معنى ذلك أن سلطة كل أقنوم أو إله منها محدودة، فيصدق على أحدها ما لا يصدق على الآخر، ويقدر أحدها على ما لا يقدر عليه الآخر، وهذا يتعارض أيضاً مع صفات الألوهية التي من مستلزماتها أن تكون سلطة الله وقدرته غير محدودة.

فإذا كانت الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت على أن يقوم أحدها بالعمل دون الإلهين الآخرين، فيقوم الله الأب مثلاً بكل العمل وحده، فحينئذٍ يكون الإلهان الآخران عاطلين أو عاجزين، ويصبحان لا فائدة ولا قيمة لأيهما، ولا داعي لوجودهما الذي لا يضيف جديداً إلى الحقيقة الإلهية، فلا يكون أي من الآخرين إلهاً.

كذلك، فإننا إذا تصورنا وجود أكثر من أقنوم أو إله واحد لهذا الكون، لكان كل إله منها متحيزاً بمكان خاص به، والمتحيز بمكان لا يكون أزلياً، بل يكون حادثاً، فلا يمكن أن يكون أي منهم هو الله، فالله لا يتحيز بحيز، ولا يحده مكان، وهو سبحانه موجود منذ الأزل، ليس حادثاً بعد زمن معين، فلا يمكن إلا أن يكون إلهاً واحداً أزلياً سرمدياً لا يحده زمان ولا مكان.

والحقيقة أنه لا يمكن وجود مماثلة تامة بين أي كائنين في كافة الصفات والقدرات، ذلك أنه عند التعدد لا بد من التمايز والتغاير، فيريد أحد الكائنين ما لا يريده الآخر، ويعمل أحدهما ما لا يعمله الآخر، ويقدر أحدهما على ما لا يقدر عليه الآخر، ولا يمكن أن ينتظم على هذا التغاير والتمايز نظام واحد، ذلك أن وجود أكثر من إله واحد لهذا الكون مدعاة إلى وجود التنافس والتنازع بين الآلهة، إما فيما بينها حول الرئاسة أو الزعامة أو الأفضلية لأي منها على الآخر، وحول اختصاصات وسلطات ووظائف كل أقنوم أو إله منها بالنسبة إلى الآخرين، وإما حول خلق المخلوقات وإفنائها أو رفعها وخفضها أو إسعادها واشقائها أو غير هذا وذاك.

وهذه الخلافات التي تحدث بين الأقانيم الإلهية المتعددة والتي لا بد من حدوثها بين كل اثنين، قد تكون فيها الطامة الكبرى على الكون والبشر، إن أي تغير أو انحراف في حركات الكواكب أو المجرات أو النجوم فيه القضاء على الوجود، فكيف الحال بصراع الآلهة... من يا ترى تكون له الغلبة منها.. ومن هم مؤيدو كل إله في نزاعه مع زملائه، ومن هم ضحايا هذا النزاع من المخلوقات؟

يقول القرآن الكريم: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٩١].

نعم إن وجود أكثر من إله واحد مدعاة للتناحر بين الآلهة ومدعاة لانحياز كل إله لمخلوقاته من البشر والكائنات وتفضيلهم وتقريبهم عن مخلوقات غيره، فهذا يحيي مخلوقاته ويفني مخلوقات غيره، وهذا يغني مخلوقاته ويفقر مخلوقات غيره، وهذا يسعد مخلوقاته ويشقي مخلوقات غيره، إله يشيد وآخر يهدم، إله يرفع وإله يخفض، هكذا تتعدد الميول وتتغاير الآراء وتتمايز النزعات بين الآلهة.

ثم إن هذا التعدد الإلهي مدعاة إلى التنافس والتزاحم

من الآلهة حول الأفضلية والتقدم، وحول الدرجة والمرتبة، وحول الرئاسة والزعامة.

يقول القرآن الكريم: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٤٢].

نعم، إنه لا إله مع الله وإلا لشاركوه في ملكه ولنازعوه في سلطانه ولزاحموه في عرشه، ولكنه وحده مالك الملك الجبار المهيمن الذي لا يزاحمه فرد و لا يطاوله أحد.

ويقدم القرآن الكريم الدليل العقلي الواضح الذي يؤكد استحالة وجود أكثر من إله واحد في الكون، فيقول عن السماوات والأرض ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٢٢]. نعم إن تعدد الآلهة يؤدي إلى انقسامها وتنازعها، وإلى تنابذها وتناحرها، وفي خضم هذا الصراع تفسد السماوات والأرض، وتفنى الموجودات ويحل بالكون الدمار.

وقد يقول بعض أصحاب الثالوث إننا لا نقول بوجود ثلاثة آلهة، وإنما نقول بوجود إله واحد مركب أو مكون من ثلاثة عناصر أو أقانيم، ونقول لهم بأن هذا لا يتصوره عقل سليم، فالشيء المركب لا يتكون و لا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك العناصر والأجزاء، فوجود الأجزاء

يسبق تكوينها وتركيبها، والله لم يكن مسبوقاً بشيء، فهو الأزلي وحده، فكيف يمكن أن يكون مكوناً من أجزاء أو عناصر؟ إن وحدانية الله وحدانية مطلقة، وحدانية لا تركيب فيها على الإطلاق، وليس وحدانية في تثليث.

كذلك فإن الشيء المركب يفتقر في تحققه وتكوينه إلى كل جزء من أجزائه، فإن لم يفتقر بعض الأجزاء إلى الآخر، لا يمكن أن تتألف منها الذات الأحدية، والله لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى أحد، فهو الغني وحده، والكل محتاج إليه.

كما أنه لا بد للمركب من مركب يتولى تركيب أجزائه وعناصره وضم بعضها إلى بعض حتى يتكون الكل ويصير كاملاً، فالأجزاء والعناصر لا ينضم بعضها إلى بعضها الآخر دون علة، والله سبحانه وتعالى لم يكونه أو يركبه أحد ولا علة له، فهو موجود بذاته أزلاً.

كذلك فإن الشيء المركب محدود بكمية أجزائه وعناصره ومقدارها، فهو محدود بحدود الأجزاء التي ركب منها، ومن ثم فمن الممكن رؤيته وتحديده، فهو يتحيز بمكان وحيّز معين، والله جل جلاله في علاه غير محدود، ولا متناه، ولا يحده مكان أو زمان، ولم يره أحد.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١١٢/ ١-٤].

فهو واحد لا شبيه له ولا مثيل له، واحد غير مركب من أجزاء. يقول الفيلسوف آرسطو: " كل مركب صائر إلى الانحلال لذلك لا يكون الواحد إلا بسيطاً غير قابل للتجزئة".

يروي الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق، أن أحد القساوسة تولى تنشئة ثلاثة من الصبية الرهبان في أحد الأديرة، وعلمهم كافة العقائد المسيحية، وخاصة عقيدة الثالوث، ثم حضر يوماً أحد أصدقاء القسيس وسأله عن حال الصبية الثلاثة ومدى إلمامهم بالعقائد المسيحية، فطلب واحداً منهم ليرى صديقه، وسأله عن عقيدة الثالوث، فقال الصبي: لقد علمتني أن الآلهة ثلاثة، أحدهم الذي هو في السماء، والثاني تولد من مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة حمامه على الإله الثاني، فغضب القسيس وطرده، ثم طلب الثاني وسأله، فقال: إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصَلِبَ واحد

منهم، فالباقي إلهان، فغضب القسيس وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكياً عن الباقين، فسأله فقال: لقد علمتني أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وقد صلب واحد منهم ومات، فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن، وإلا يلزم نفي الاتحاد.

"أقوال السيد المسيح تبطل القول بالتثليث"

إذا ما نظرنا في الآيات الواردة في الأناجيل والتي سلمت من التحريف والتزوير، نرى أن عدداً كبيراً منها يدعو إلى توحيد الإله وأنه لا رب سواه، وهذا هو دين النصارى الحق.

تقول الآية ٣ من الباب ١٧ من إنجيل يوحنا: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك يسوع المسيح الذي أرسلته".

وورد في الباب ١٢ من إنجيل مرقس:

(٢٨) " فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل" (٢٩) "فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا: اسمع يا

إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" (٣٠) " وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى" (٣١) "وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين" (٣٢) " فقال الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه واحد وليس آخر سواه" (٣٣) " ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرمات والذبائح" (٣٤) " فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيداً عن ملكوت الله".

وفي الباب الرابع من كتاب **الاستثناء** (٣٥) "لنعلم أن الرب هو الله وليس غيره (٣٩) " فاعلم اليوم وأقبل بقلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت وليس غيره ".

وفي الباب السادس من **السفر المذكور** ٤ " اسمع يا إسرائيل أن الرب إلهنا فإنه إلهٌ واحد "، وفي الباب ٤٥ من كتاب **أشعيا** ٥ " أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله شددتك ولم تعرفني" ٦ " ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب أنه ليس غيري أنا الرب

وليس آخر." ، وفي الآية ٩ من الباب ٤٦ من كتاب **أشعيا** "إني أنا الله وليس غيري إلهاً وليس لي شبه" ، وفي الباب ١٩ من **إنجيل متى** ١٦ " وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح إصلاح أعمل ليكون لي الحياة الأبدية" ١٧ " فقال له لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله". وفي الآية السادسة من الباب ٤٤ من **كتاب أشعيا** "هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود أنا الأول وأنا الآخر وليس إله غيري".

وورد في **إنجيل متى** ٦/٦ "صلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء" ، وفي متى ٩/٢٣ "أبوكم واحد الذي في السموات" ، وفي متى ٦/ ٢٤ " لا يقدر أحدٌ أن يخدم سيدين". وفي متى ٦/ ٢٦ "انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوك السماوي يقوتها" ، وفي متى ٥/ ١٦ "ليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات" ، وفي روم ١٠/ ١٢ "إن رباً واحداً للجميع".

والذين قالوا بأن المسيح عليه السلام مساو لله تعالى في الجوهر لم يدققوا في كل الآيات، فقد أخذوا من

قول إنجيل يوحنا (**الإصحاح العاشر**) " أنا والأب واحد" ، فرأوا أن سيدنا عيسى مساوٍ لله تعالى في الجوهر، فإذا كان هذا القول يفيد المساواة، فإنه يلزم ثبوتها للحواريين أيضاً، ويصبحوا هم أيضاً مساوين لله في الجوهر، حيث يقول في (**الإصحاح السابع عشر**) " كما أنت يا أبتاه في وأنا فيك ليكونوا همْ أيضاً واحداً فينا ".

وقول يوحنا أن الأب لا يدين أحداً، بل أعطى الحكم كله للابن وكقول عيسى "كل شيء أعطيت من أبي" ، فإن هذا الكلام لا يقتضي المساواة بين الأب والابن في الجوهر، بل على العكس، يفصح بعدم المساواة لأن الأب هو المعطي والابن هو الآخذ، ولا شك أن المعطي أفضل من الآخذ، والأخذ ليس من شيم الألوهية، إذ رتبتها إعطاء الحكم لا أخذه.

وأما قول المسيح عليه السلام "من يكرم الابن فهو يكرم الأب" ، فهذا أيضاً لا يفيد مشاركته لله تعالى، إذ هو نظير قوله عليه السلام "من أهانكم فقد أهانني ومن أهانني فقد أهان الذي أرسلني، ومن سمع منكم فقد سمع مني ومن يرحم مسكيناً يقرض الله" وهذا النظير يفيد مشاركة

جميع النصارى لله تعالى لو أفاد نظيره مشاركة سيدنا عيسى له تعالى بدليل اللزوم".[1].

سأل رجل المسيح قائلاً: "أيها المسيح المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ قال له المسيح لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله" **(مرقص إصحاح ١٠)**.

 

---

(١) رسالة الترجيح للدين الصحيح، محمد الطيبي الدمشقي.

الثالوث والوثنية



جاء آدم عليه السلام بالتوحيد، ولكن البشر انحرفوا عنه لما امتد بهم الزمن فأرسل الله الرسل والنبيين مبشرين ومنذرين كلما ابتعد الناس عن التوحيد ليعيدهم إلى دين الفطرة ودين التوحيد والعقل السليم، وفي غمرة هذا البعد والنسيان، عبد الناس القوى الطبيعية وقدس الناس كل ظاهرة منها نظرة تقديس ورهبة وعبادة، فمنهم من عبد الحيوانات نافعها وضارها، ثم عبد الأحجار والأصنام والأنهار، ثم عبد الشمس والقمر والنجوم والكواكب والرياح، ومن الشعوب من قسم الآلهة إلى قسمين، إله الخير، وإله الشر، إله للنور، وآخر للظلمة، أو إله للحرب وآخر للسلام. فلا تجتمع صفتان متناقضتان في إله واحد، وهذا هو مذهب الوثنية الذي كان منتشراً في بلاد الفرس

القديمة، ومن الشعوب من يتصور الله عبارة عن أسرة مكونة من إله ذكر تقابله أنثى، ولهما ولد أو أولاد بنين وبنات، وقد تصور عرب الجاهلية أن الملائكة بنات الله، فأتى القرآن مسفهاً أحلامهم ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣/١٩].

ومن تلك التصورات مذهب الثالوث، وهو تقسيم الله إلى ثلاثة آلهة أو ثلاثة عناصر آب وابن وروح قدس. وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريين، وقال به الهنود، وقال به اليونانيون.

فيتكون الثالوث المصري الفرعوني من ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم:

١- ***الإله أوسيرى***، ويسمى الآب أو الوالد، وهو الإله الأكبر العظيم، علة ولادة الأقنوم الثاني (هور) وهو خالق كل المخلوقات وحاكم الأزلية ورب الأرباب.

٢- ***الإله*** **هور** (ويسمى الابن أو النطق أو الكلمة) وهو الأقنوم الثاني، وهو ابن الإله أو سيري،

وهو النور والشمس المشرقة، وهو إله النطق والكلام، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم تشبه وحده بإنسان ليكون قابلاً للموت.

٣- *الإله إيس*، والاعتقاد عنها "ملكة السماء" وأنها أم الأقنوم الثاني، وهي باعثة الحياة للبشر، والمعروف عن الروح القدس أنها مصدر حياة البشر طبقاً لعقيدة أصحاب الثالوث[١].

وقد أكد العلامة "**جارسلاف كريني**"، أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانية في كتابه "**ديانة قدماء المصريين**" وجود التماثيل والتطابق التام بين الثالوث المسيحي والثالوث الفرعوني، الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحي مأخوذ عن الثالوث الفرعوني.

الثالوث الهندي

يقرر **الأستاذ مالفير** وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث المسيحي، ويضيف أنه ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت إلى الإنجليزية شارحة عقيدة

(١) كتاب (الله واحد أم ثالوث)، محمد وجدي مرجان.

الهنود القدماء ما نصه: "نؤمن بسافترى أي الشمس إله واحد ضابط الكل خالق السماوات والأرض وبابنه الوحيد (آني) أي النار نور من نور مولود غير مخلوق تجسد من (فايو) أي الروح في بطن (مايا العذراء)، ونؤمن بفايو الروح الحي المنبثق من الآب والابن هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد".

وتؤمن طوائف أخرى من الهنود بثالوث إلهي آخر، هو الإله براهما في صورة الخالق والإله فشنر في صورة الحافظ، والإله سيفا في صورة الهادم.

انتقال عقيدة التثليث إلى المسيحية

إن المسيح عليه السلام جاء داعياً إلى التوحيد وإلى صالح الأعمال، وقد دعا تلاميذه الإثنى عشر إلى تبشير بني إسرائيل، وعلى الرغم مما بذله عليه السلام من جهود في نشر دعوته بين اليهود، وما أجراه الله على يديه من معجزات لحملهم على الإيمان به، فإن دعوته لم تجد بين اليهود أرضاً خصبة، ولم يؤمن بها سوى أفراد قلائل، أما معظم الشعب اليهودي فقد أنكروا نبوته ورسالته، ونسبوا معجزاته إلى رئيس الشياطين وليس إلى الله (**إنجيل متى ٩/ ٣٤**).

وبعد السيد المسيح اضطر تلاميذه وحواريوه من أجل إحياء دعوته إلى نقلها من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها كالرومان واليونانيين وغيرهم. ومن المبشرين القديس بولص، الذي ولد في مدينة طرطوس، مركز الديانة الميثرية الوثنية؟ لذلك جاءت الديانة التي ابتدعها بولص مختلفة جذرياً عن رسالة عيسى من عدة وجوه، فمن جهة ركزت على قصة صلب المسيح وقيامته من الموت، وبالتالي تأليهه ووضعه في مصاف الآلهة التي تموت وتحيا في الديانات الهلنستية.

وبصورة تدريجية أفلحت جهود بولص بتغريب رسالة عيسى، وقد ذكرنا سابقاً أن بولص لم يكن من الحواريين، ولم يجتمع أبداً بالسيد المسيح، لذلك فإن الوثنية التي كانت راسخة في صحيفة بولص منذ طفولته بدأت تظهر واضحة في رسائله التي كتبها بنفسه، والتي أصبحت فيما بعد جزءاً من الكتاب المقدس، حيث أن طرطوس التي نشأ فيها بولص كان فيها تمثالاً ضخماً للإله اليوناني هراكليس (هرقل عند الرومان)، وكان هراكليس عند اليونان ابن الإله زوس، وكانوا يعبدونه لما يعتقدون فيه من جلب الحظ السعيد ولكونه مخلّص المؤمنين به، ولا بد أن

بولص كان يشاهد سنوياً الجموع الهستيرية التواقة لغسيل خطاياها وهي تهتف لمخلصها نصف الإله هراكليس، حاملة تمثاله الضخم عبر شوارع المدينة، وقد أثر ذلك في عقل بولص من أنه يمكن للبشر بكل ما بهم من آثام أن يغسلوا خطاياهم بدم مخلّص ما، وأن عيسى يجب أن يكون إلها أو نصف إله من الطراز الهرقلي.

ولقد ألغى بولص كثيراً من التعاليم التي جاء بها المسيح عليه السلام نتيجة لتأثره بالتعاليم الوثنية، فقد ألغى الختان المقرر في جميع الشرائع السماوية منذ عهد سيدنا إبراهيم. ونقرأ في التوراة عن حكم الختان في **الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين**: "قال الله لإبراهيم... هذا هو عهدي الذين تحفظون بيني وبينك وبين نسلك من بعدك، تختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم... وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها... إنه نكث عهدي".

ولكن القديس بولص وأصحابه المبشرين حين سمعوا بتضرر الوثنيين من الختان ألغوا هذا الحكم الإلهي بكل بساطة، بل أنكروا كون الختان شريعة إلهية، فبعثوا يقولون

للوثنيين: "قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختنوا وتحفظوا الناموس الذي نحن لم نأمرهم...." **(أعمال الرسل ص ١٥/ ٢٤)**، وبهذا إرضاء للوثنيين ألغى بولص الختان المقرر وخرج وأصحابه عن تعاليم كافة الأنبياء، وكذلك فإن القديس بطرس قد أباح أكل لحم الخنزير نظراً لأن الرومان واليونان كانوا يأكلونها، وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال، أخذت الأحكام الإلهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية، وأخذت المسيحية تتباعد شيئاً فشيئاً عن الدين السماوي العظيم الذي أتى به السيد المسيح.

يقول القس بولص الياس اليسوعي[(١)] "لقد لقحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي، فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الإنجيل وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفكير، فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما. ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب وحافظت على تنوع الطقوس في مختلف الطوائف، فما فرضت صيغة موحدة لصلاة". ويستطرد

---

(١) كتاب يسوع المسيح ص ١٩٩

القس بولص قائلاً: "إنه في مفتتح القرن السابع ميلادي كتب البابا (غريغوريوس) الأول الكبير إلى القديس (أوغسطينوس) أسقف (كنتربرى) ببريطانيا يقول: "دع البريطانيين وعاداتهم وابق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد واضعاً إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين".

وبهذا الخلط بين الوثنية والمسيحية أصبح الإله الواحد ثلاثة آلهة دون غرابة أو شذوذ أو اعتراض من أحد.

عقيدة الفداء عند المسيحيين:

يعتقد المسيحيون أن جميع البشر هالكون بخطيئة جدهم آدم عليه السلام، حتى إبراهيم وموسي وغيرهما من الأنبياء، وأنهم جميعاً في الأسر تحت يد إبليس وسلطانه مفتقرون إلى إله يخلصهم، حتى اعتقدوا أنه سبحانه وتعالى بسبب اعتنائه بالبشر ألجأه الحال إلى أن ينزل ابنه من السماء ويسكنه في رحم السيدة مريم تسعة أشهر ويخرجه منها تعالى وألبسه ناسوتاً من دم السيدة مريم عليها السلام، فصلب فيه ومات ونزل إلى جهنم حتى يخلص إبراهيم وموسى وبقية الأنبياء والبشر الهالكين بالخطيئة

المفتقرين إلى من يخلصهم. فكأن الخلاص لا يمكن إلا بهذه الكيفية، لأن عيسى ابن الله ومساو له في الجوهر. يذكر **إنجيل يوحنا** (٣/ ١٦) " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل (ابنه) الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية".

أما لماذا يقتل الله ابنه الوحيد البريء من أجل ذنوب الآخرين، فالجواب عندهم هو الفداء لخطايا الخليقة، أي إن العالم يخطئ فيقتل الله ابنه كفارة للخطأ الواقع. ولما كان عيسى مساو لله في الجوهر، وقتله الله الآب فيصبح القول " إن الله قتل الله لإرضاء الله"[١].

ويقولون بأن خطاياك موضوعة على يسوع لتنال سلاماً مع الله وتشفي نفسك من جروحها إن تقدمت إلى المصلوب المحبوب وسلمته خطاياك تختبر أن دمه يطهرك من كل إثم حتى ولو كنت قاتلاً أو متعصباً أو حالفاً بالله كذباً، ومهما كانت خطا هذا المنادي المستغيث في الأرض هو المنادى المستغاث به في السماء لأن الأب والابن شيء واحد كما يزعمون، كما ورد في **الإصحاح**

---

(١) من كتاب قذائف الحق. محمد الغزالي.

الحادي والعشرين من سفر التثنية "إذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة، فلا تثبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً". كيف يقبلون بهذا اللعن للسيد المسيح عليه السلام.

وقد ورد في **كتاب حزقيال، الآية ٢٠ من الباب ١٨** "النفس التي تخطئ فهي تموت والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن وعدل العادل يكون عليه ونفاق المنافق يكون عليه". وتقول **الآية ١٣ من الباب ٣ من رسالة بولص إلى غلاطيه** "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة".

والمسيحيون آنذاك قبلوا هذا الكلام لأنه يخدم عندهم قضيتين. الأولى: قضية تجسد الإله وإمكان أن يتحول رب العالمين إلى شخص يأكل ويصارع ويجهل ويندم...

الثانية، قضية أن البشر جميعاً أرباب خطايا وأصحاب مفاسد، وأنهم محتاجون إلى من "ينتحر" من أجلهم لكي تغفر خطاياهم ويحملونها لمن يقتل عنهم.

إنجيل برنابا

هذا الإنجيل حرّمه البابا جلاسيوس الأول الذي نصب عام ٤٩٢ م. وحرّم على المسيحيين مطالعته مع كتب أخرى.

وتبدأ قصة العثور على أول نسخة من هذا الإنجيل مترجمة من الإسبانية إلى الإيطالية في أواخر القرن ذ عشر، إذ عثر عليها راهب لاتيني اسمه فرامرينو، وقد ترجم هذا الإنجيل من الإسبانية إلى الإيطالية رجل اسمه **مصطفى العرند**. وتبدأ الصفحة الأولى منه بالتالي:

- برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً وعزاءً.
- أعلن المسيح بناءً على طلب الكاهن الإسرائيلي أن يسوع بن مريم من نسل داود وبشر مائت يخاف الله ويطلب أن لا يعطى المجد والإكرام إلا لله.
- قال المسيح: أساس الخلاص هو الله، فإذا أخطأ الإنسان خسر أساس خلاصه.
- يبكون على الجسد الذي فارقته الحياة،

ولا يبكون على النفس التي فارقتها رحمة الله بسبب الخطيئة.

- لا تجوز الغفلة عن الله ورقاد النفس هو هذه الغفلة.

- الصوم يجعل الإنسان قادراً على السيطرة على الحس.

- بنو إسرائيل رغبوا في إقامة عبادة الأصنام التي في قلوبهم إذ حسبوا المسيح إلهاً.

- إبراهيم يجادل أباه صانع الأصنام، وقد سأل إبراهيم أباه قائلاً: " ليس للأصنام نفوس وحياة، فكيف يهبون النفوس والحياة. فمن المؤكد أنهم ليسوا هم الله".

- المسيح يقص على تلاميذه كيف حطم إبراهيم أصنام قومه فألقوه في النار فنجاه الله منها.

- كيف عرف إبراهيم ربه الله. قال الله له: أنا الله أحد ولا إله غيري وأضرب وأشفي وأميت وأحيي، أنزل الجحيم وأخرج منه ولا يستطيع أحد أن ينقذ نفسه من يدي.

- الهوى إله الإنسان وكل ما يحبه الإنسان ويترك لأجله كل شيء سواه فهو إلهه، فصنم الزاني الزانية، وصنم النهم والسكير جسده.
- عبادة الأصنام أعظم الخطايا لأنها تجرد الإنسان من الإيمان. والله لا يغفر لمن عبد غيره، لكنه قد يغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الخطايا.
- جاء أنبياء الله كلهم إلا رسول الله، فإنه سيأتي بعد المسيح لأن الله أرسل المسيح ليمهد له الطريق.
- لعن المسيح من يدرج في أقواله أنه ابن الله.
- ليس لإلهنا بداية ولا يكون له نهاية.
- إن إلهنا قدير على كل شيء بكلمته فقط.
- إن إلهنا لا يرى وهو محجوب في عقل الإنسان غير متجسد وغير مركب وغير متغير.
- إن سماء السماوات لا تسع إلهنا لأنه غير محدود.
- إن إلهنا ليس في حاجة لأنه لا يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص.

فهذا الإنجيل الذي يعترف صراحة بوحدانية الله ويبشر بمجيء النبي محمد ﷺ، لم ترضَ به الكنيسة وحرّمه البابا جلاسيوس الأول من التداول واستبعده مجمع نيقية.

النبي عيسى عليه السلام

يتحدث السيد المسيح عن نفسه فيعلن أنه إنسان مرسل من الله. ويتحدث عنه تلاميذه والمقربون منه بما رأوه وعرفوه عنه فيقولون إنه نبي، وتنظر إليه جموع الشعب أيضاً على أنه نبي تماماً مثل باقي أخوته الأنبياء الذين سبقوه، تماماً كباقي أنبياء الله وكلماته، ولم يقل أحد أنه أكثر من بشر أو أكثر من رسول من عند الله.

فالقرآن الكريم يورد قول السيد المسيح لربه نافياً عن نفسه أكاذيب الشراح مبرئاً نفسه من بدع المثلثين والمشبهين ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٥/ ١١٦-١١٧].

وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المائدة: ٥/ ٧٥].

وإذا نظرنا إلى المعجزات الحسيّة التي صنعها السيد المسيح في حياته، والتي دعت نفراً إلى القول بألوهيته أو ببنوته لله ناسبين تلك المعجزات إلى السيد المسيح ذاته وليس إلى ربه الذي أرسله، هذه المعجزات الحسية التي أجراها الله على يد السيد المسيح من شفاء المرضى وإحياء الموتى، وذلك لكي تكون دليلاً على نبوته ورسالته.

هذه المعجزات المتعددة يصرّح المسيح نفسه وتصرّح الأناجيل أن السيد المسيح لم يكن سوى الأداة التي حركها الله لإظهار هذه المعجزات، وأن الأمر كله في النهاية مرجعه إلى الله سبحانه وتعالى.

يتحدث إنجيل متى عن إحدى تلك المعجزات فيقول أن السيد المسيح: "قال للمفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك فقام ومضى إلى بيته، فلما رأى الجموع تعجبوا ومجّدوا الله الذي أعطى الناس سلطاناً مثل هذا" .(متى، ص ٩/ ٨٦).

ويذكر القديس لوقا فيقول في مقدمة إنجيله أن "يسوع المسيح رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون".

ويقول القديس يوحنا إن المسيح لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا بتأييد الله له "ليس يقدر الابن أن يفعل من ذاته شيئاً". (يوحنا، ص ٥/ ١٩). ويضيف القديس يوحنا أن السيد المسيح كان يظل يبتهل ويتوسل إلى الله خالقه كلما هم بشفاء مريض أو القيام بمعجزة ما، وكان يخاطب ربه قائلاً: "وأنا أعلم أنك كل حين تستجيب لي".

ويحدثنا القرآن الكريم عن معجزات السيد المسيح، فيورد قوله عليه السلام لقومه بني إسرائيل: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٤٩].

وهذه المعجزات والآيات التي أجراها الله على أيدي السيد المسيح لم تكن خاصة للسيد المسيح فقط، فالتوراة تحدثنا أن إيليا وأليشع أحيوا أموات، وصعدوا إلى السماء

أحياء، والنبي حزقيال قد أحيا آلاف الموتى مرة واحدة وبعثهم من قبورهم، وسيدنا إبراهيم عليه السلام وضع في النار فلم يتأثر بها، وأن موسى عليه السلام حول العصا الخشبية إلى حيّة ذات روح، وفلق البحر وفجّر المياه من الصخر ولم يدّعِ أحد أنهم آلهة أو أبناء آلهة.

هذا هو المسيح رسول الله وكلمته وروح منه أرسله الله لهداية البشرية ونشر الحق والسلام. أما أولئك الذين ادعوا أنه ابن الله، فيقول الله تعالى عنهم في القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ١٩/ ٨٨-٩٥].

يقول المؤرخ موشيم، قال في المجلد الأول من تاريخه:

"إن الفرقة الأبيونية التي كانت في القرن الأول كانت تعتقد أن عيسى عليه السلام إنسان فقط تولّد من مريم ويوسف النجار مثل الناس الآخرين، وطاعة الشريعة

الموسوية ليست منحصرة في حق اليهود فقط، بل تجب على غيرهم أيضاً، والعمل على أحكامه ضروري للنجاة. ولما كان بولص ينكر وجوب هذا العمل ويخاصمهم في هذا الباب مخاصمة شديدة، كانوا يذمّونه ذمّاً شديداً ويحقرون تحريراته تحقيراً بليغاً".

وقال الإمام القرطبي في حق القديس بولص: "هو الذي أفسد عليكم أديانكم وأعمى أبصاركم وأذهانكم، ذلك هو الذي غيّر دين المسيح الصحيح الذي لم تسمعوا له بخبر ولا وقفتم منه على أثر، هو الذي صرفكم عن القبلة وحلل لكم كل محرم في الملة، ولذلك كثرت أحكامه عندكم وتداولتموها بينكم".

 

التوحيد



التوحيد هو دين كافة الناس، كافة العقلاء والعلماء والفلاسفة والأنبياء وكل ذي بصيرة.

عرفه القدماء من لدن آدم وحتى المصريون القدماء، فنادى به فرعون مصر أخناتون، وعرفه فلاسفة اليونان، وعرفه كل من فطر على السوية والصواب. قال سقراط يحدث تلاميذه: "يجب أن تعرفوا أن إلهكم واحد". ويأتي بعده أفلاطون فيعلن أن: "الله واحد لا شريك له وإلا لحدّ الشريك من سلطته التي لا يثبت له الكمال إلا إذا كانت لا حد لها". ويقول أرسطو إنه: "مما يدل على وحدانية الله انتظام العالم وتناسق حركاته....". ويؤكد الفيلسوف اليوناني مليسوس أن "اللامتناهي واحد فقط إذ يمتنع أن يكون هناك شيء خارج اللامتناهي...". ويقرر

العالم الإنجليزي هرشل أنه: "كلما اتسع نطاق العلم كلما زادت البراهين الدامغة على وجود خالق أزلي واحد لا حدّ لقدرته ولا نهاية". فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده.

قال بالتوحيد كل الأنبياء، ونزلت به جميع رسالات السماء، وسطّرته كافة الكتب السماوية التي يقدسها البشر من جميع الأديان، سواء منها التوراة أو الإنجيل أو القرآن.

يقول موسى عليه السلام: " الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه " .(تثنية ص / ٣٩). ويقول موسى في سفر الخروج " أنه ليس مثل الرب إلهنا " .(خروج ١٨/ ١٠). ولقد كانت أولى الوصايا العشر التي أنزلها الله على نبيه موسى وشعبه، قوله سبحانه وتعالى: "أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي". (خروج، ص / ٢٠).

وداود عليه السلام جد المسيح يخاطب الله قائلاً: "يا الله من مثلك" . (مزمور ٧١/ ١٩). ويقول في المزمور التسعين مناجياً ربه: "من قبل أن توجد الجبال أو أبدأت

الأرض والمسكونة، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله" (مزمور ٩٠/ ١٧). ثم يخاطب داود إلهه بقوله: "لأنك عظيم أنت وصانع عجائب أنت الله وحدك" .(مزمور ٨٦/ ١٠). ويدعو داود الشعب إلى تعظيم الله الواحد قائلاً: " ليسبحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده مجده فوق الأرض والسموات" .(مزمور ١٤٨/ ١٣).

ونحميا النبي يخاطب الله الواحد بقوله: "أنت هو الرب وحدك" . (نحميا ٩/ ٦). وأيوب الصديق يقول عن ربه: "الباسط السموات وحده والماشي على أعالي البحار" . (أيوب ٩/ ٨)، ويقول عن خالقه: "أو ليس صانعي في البطن صانعه وقد صورنا واحد في الرحم" . (أيوب ٣١/ ١٥).

ويقول ملاخي النبي: "أليس إله واحد خلقنا" (ملا ٢/ ١٠). أما أرميا النبي فيخاطب الله بقوله: "لأنه لا مثيل لك يا رب عظيم وأنت عظيم اسمك في الجبروت" . (أرميا ١٠/ ٦).

ويقول النبي حزقيا: "أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض أنت صنعت السماء والأرض" . (٢ مل ١١/ ١٥)، ويقول أيضاً: "والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم

ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك" . **(أش ٣٧/ ٢٠).**

ويقول الله مخاطباً البشر: " أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله يعلم الذين هم من مشرق الشمس ومن مغربها أنه ليس غيري أنا الرب وليس آخر" **(أشعيا ٤٥/ ٥-٦).** ويقول تبارك وتعالى: "أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري" .**(أش ١٤/ ٦).**

فالله سبحانه ليس كمثله شيء لا في السماء ولا في الأرض ولا فوق السماء ولا تحت الأرض، لا يشبهه أحد من مخلوقاته. ويتحدث الله معاتباً المجسِّدين والمشبِّهين فيقول: " بمن تشبهونني وتساوونني وتمثلونني لنتشابه " **(أشعيا ٤٦/ ٥).** وحين طلب موسى من ربه أن يراه خاطبه قائلاً " لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش" . **(الخروج ص ٣٣/ ٢٠).**

ويورد القرآن تلك الحادثة فيقول: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٤٣].

وتورد الأناجيل تلك الحقيقة وهي عدم إمكان رؤية الله فتقول: "أن الله روح" . **(يوحنا ص / ٢٤)**. لذلك فالله هو "غير المنظور" .**(كولوسى ١/ ١٥)**. ويقول القديس يوحنا: "الله لم يره أحد" . **(يوحنا ص ١/ ١٨)**، ويقول القديس بولص في رسالته الأولى إلى تيموثاوس إن " الله لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه" . **(تيموثاوس ١، ص ٦/ ١٦)**، وفي رسالة يوحنا الأولى يقرر أن " الله لم ينظره أحد" . **(يوحنا ص ٤/ ١٢)**.

من هذا نرى أن الله لم يره أحد من الناس حتى أنبياءه وأولياءه، فكيف استطاع أصحاب الثالوث تشبيه الله بالكائنات والجوامد، والله لم يره أحد، ولا ينبغي لأحد أن يراه، فهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه لا يتميز بمكان ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

يحدثنا القديس مرقص في إنجيله أنه بينما كان السيد المسيح جالساً مع تلاميذه وحوارييه يشرح لهم تعاليم الله، أتاه أحد الناس يسأله: " أية وصية هي أول الكل، فأجاب يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل نفسك

ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى...".

ولما حاول إبليس غواية السيد المسيح محرضاً إياه على الشرك بالله أو السجود لغير الله، نهره قائلاً: " اذهب عني يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد..." **(إنجيل متى ٤/ ١٠)**.

وفي الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا يورد القديس مناجاة السيد المسيح لربه الواحد وفي هذه المناجاة يبين المسيح للناس طريق الحق، طريق الحياة الأبدية، طريق جنات النعيم، يقول المسيح لربه: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك" **(يوحنا ١٧/ ٤)**.

ويورد القرآن الكريم هذه المعاني على لسان السيد المسيح، فيقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، وقال المسيح: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٥/ ٧٢].

هذه هي رسالة المسيحية الحقيقية، وحدانية الله وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته، وعدم الإشراك به، وحبه وعبادته

وتقديسه واتصافه سبحانه بكل صفات الصلاح والكمال التي لا يزاحمه فيها رسول أو بشر أو ملاك.

أما دعوة الثالوث وكافة ما ألصقه الغاوون والمارقون بهذه الرسالة السماوية العظيمة من أباطيل وترهات، فلا صلة لها بالمسيحية ولا برسالة السيد المسيح عيسى عليه السلام، والمسيحية ورسولها العظيم بريئان من كل ما ألصقه هؤلاء الشاردون بهما سواء بقصد الإساءة أو بقصد الإحسان.

هذه المسيحية الحقة، وهذا التوحيد الخالص اهتدى إليه الكثيرون من المسيحيين سواء في ذلك العباقرة أو العاديون أو الفلاسفة أو رجال الدين، وأعلنوها صراحة وذاقوا بسبب ذلك العنت والعذاب. هذا آريوس يقرر أن الله وحده هو الإله الأصلي الواجب الوجود، أما الابن والروح القدس فهما كائنات من خلق الله، فيحكم عليه بالكفر والهرطقة، ويتقرر قتله مع مشايعيه. وهذا أوريجانوس يعلن أن الله روح لا يدركه الفهم، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بإنسان، وأن الله لا يجزأ ولا يحد ولا يحصر، فيحكم عليه بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع أتباعه.

والفيلسوف المسيحي ترتليان، سنة ٢٢٠ م، يعلن: "إننا بريئون من الذين ابتدعوا مسيحية رواقية أو أفلاطية أو جدلية بعد المسيح والإنجيل لسنا بحاجة إلى شيء".

والأسقف نسطور ينكر ألوهية المسيح ويقرر أنه إنسان كسائر الناس مملوء بالنعمة والبركة ويشايعه في هذا الفيلسوفان تولستوي ورينان، والأسقفان سابليوس وبولص الشمشاطي. ثم يأتي الأسقف مقدونيوس فينكر ألوهية الروح القدس أيضاً.

وفي اسبانية يجهر المصلح الإسباني "سرفيتوس" برأيه في وحدانية الله وإنكار الثالوث، فيتقرر إحراقه حياً سنة ١٥٥٣ م. وفي بولونية نادى سوسينس بوحدانية الله وبشرية المسيح مقرراً أن الله لا يحل في البشر، وقد تفرع عن عقيدته مذهب الموحدين الذين قاموا يدعون إلى تطهير المسيحية من أدران الوثنية وجهالة التجسيد. ولاقى أفراد هذا المذهب من الاضطهاد والتعذيب ما اضطرهم إلى هجر وطنهم إلى مختلف البلاد يلاحقهم العذاب أينما حلوا.

ثم جاء **محمد** ﷺ، وسار على درب اخوته الأنبياء، ونادى القرآن بالتوحيد، توحيد الله وإخلاء العقول والقلوب

من كل معبود غيره، فنادى بكلمة الحق "لا إله إلا الله"، أي لا معبود في الوجود بحق إلا الله لا شريك له ولا نظير ولا مثيل ولا ولد ولا صاحبة ولا والد ولا جد ولا والدة، بل هو وحده المنزه عن كل ما في الوجود.

ويعلمنا القرآن أنه ما من رسول إلا وكانت أولى كلماته ومفتتح رسالته إلى قومه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٤/ ٣٦]. ويقول لخاتم رسله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٢٥]. ويقول القرآن لرسوله الأمين: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣/ ٤٥].

يخبرنا القرآن أن التوحيد هو دعوة نوح عليه السلام: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٧/ ٥٩].

والتوحيد هو رسالة إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٧/ ٥٩]. وهو نداء هود وصالح وشعيب عليهم السلام، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٦٥]. ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ

ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ. . . ﴾ [هـــــود: ١١/ ٦١].
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٥].

والتوحيد دين يعقوب وأبنائه، ويسألهم عمن يعبدون بعده، فيجيبون ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البـــقـــرة: ٢/ ١٣٣]. ويخاطب يوسف الصديق عليه السلام دعاة الشرك والتعدد قائلاً: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ١٢/ ٣٩-٤٠].
والتوحيد هو رسالة المسيح عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ. . . ﴾ [المائدة: ٥/ ١١٧].

والقرآن الكريم ينكر كل ما يمكن أن يلقي ظلاً على فكرة التوحيد أو صورته، فالله في القرآن مترفع عن وثنية التعدد الذي التصق بالأديان السابقة، إنما الله إله واحد لا يتعدد ولا يتكرر ولا يتغير ولا يتركب. وكل من يحاول التشكيك في هذه الحقيقة المطلقة، وكل من يقول بوجود

إلهين أو ثلاثة، أو بوجود عناصر أو أجزاء في الذات الإلهية، كل من يقول بذلك فقد كفر. يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥/ ٧٣].

والله سبحانه يغفر لعباده جميع الذنوب وكافة المعاصي إلا الشرك به وتأليه مخلوقاته، فالشرك بالله كفر، والكفر هو أبعد الضلال، فلا نجاة لكافر ولا أمل لكافر. يقول الواحد القهار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤/ ٤٨].

هكذا تحرر الإنسان المؤمن بإله واحد من كل سلطان لبشر واعتق من كل عبودية لمخلوق، لا عبادة لرسول، ولا تقديس لملك، ولا إخبات لزعيم، ولا خشية لكاهن، ولا ركوع ولا سجود إلا لله الواحد القهار. ومن يركع له لا يركع لأحد سواه.

يقول سبحانه عن المشركين: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ١٩/ ٨١-٨٢].

هكذا تمت المساواة بين الناس كبيرهم وصغيرهم، أميرهم وفقيرهم، كل سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح. وهكذا ألغيت الوساطة وانتهت الشفاعة وبار سوق الدجل وانهار صرح الاحتيال، وسما العقل الإنساني وارتفع عن نطاق المحسوسات والتشبيهات، ونأى عن الخرافات، وتجمعت القلوب حول حب واحد وانضمت الأفئدة في كيان واحد واتجهت النفوس إلى غاية واحدة، وتجمعت فيما بينها حول الحب الأخوي والتعاطف، وامتلأت النفوس بالفضائل والمثل وتعاون الناس على البر والتقوى وتسابقوا إلى الصلاح والخير لينالوا رضوان الله الواحد. يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٢/ ١٦٣].

الدين الواحد



إن جميع الأنبياء والرسل من آدم حتى خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام، قد دعوا إلى دين واحد وهو الإسلام، ولكن ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٥/ ٤٨].

فلقد دعوا إلى توحيد الله والعمل الصالح، وآمن بهؤلاء الأنبياء كل في زمانه بشر كثيرون، صدقوا دعوة رسولهم وآمنوا أنه مبعوث من لدن الله، فكل هؤلاء مؤمنون مسلمون، فأتباع موسى عليه السلام الذين آمنوا بالتوراة الحقيقية مسلمون، وأتباع المسيح عيسى عليه السلام الذين أمنوا بالإنجيل الحقيقي مسلمون، وأتباع محمد ﷺ الذين آمنوا بالقرآن وسنة رسوله هم مسلمون، وما الرسل إلا بشر حملوا رسالة الله إلى الناس، فأدوا الأمانة وبلغوا الرسالة ونصحوا الأمة.

وهنا لا بد من إيضاح لغوي أن كلمة مسلم تعني من استسلم، ومن استسلم إلى الله فهو مسلم.

فعندما مات محمد ﷺ، لم يصدق بعض الناس موته، فخرج إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعلن لهم بصراحة وشجاعة موت محمد حامل الرسالة ﷺ، وفي الوقت نفسه بقاء الرسالة وخلود باعث الرسالة الله تبارك وتعالى، وقال لهم: «أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت». ثم تلا عليهم قول الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٤٤].

وبعد رفع السيد المسيح عليه السلام، دعا كثيرون إلى تأليهه، بل أشركوه مع الله في العبادة، ثم نسوا الله وعبدوا المسيح الإنسان مخلوق الله، ولكن السيد المسيح عليه السلام يبرأ من هؤلاء المشركين ويعلن لربه وربهم أنه ما دعاهم إلا إلى الإسلام والتوحيد. يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى

بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ٥/ ١١٦-١١٧].

ولا يمكن لأحد من الأنبياء أو الملائكة أن يدعي الألوهية، ولا ينبغي له ذلك، يقول الله عزّ وجل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٧٩-٨٠].

نعم الرسل كلهم ميتون ولا يبقى إلا الله. البشر زائلون، والحقيقة باقية. ذهب موسى، وذهب عيسى، وذهب محمد صلوات الله عليهم، وبقي باعث موسى وعيسى ومحمد. أدوا المهمة وأوصلوا الأمانة وأبلغوا الرسالة ونصحوا الأمة ثم عادوا إلى باعثهم ومرسلهم وخالقهم، ذهب الرسل وبقي الله وبقي دينه وإسلامه.

هذا نوح يردد: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾

[يونس: ١٠/ ٧٢]. وإبراهيم وأبناؤه إسماعيل ويعقوب وذريتهم كل مسلمون. يقول القرآن الكريم عن إبراهيم وآلـــه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ...﴾ [البقرة: ٢/ ١٣١-١٣٢].

وموسى عليه السلام ينادي قومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠/ ٨٤].

والمسيح عليه السلام ومن اتبعوه أيضاً مسلمون. يقول عزّ وجل عن رسوله عيسى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٥٢].

ويجمع القرآن الكريم كافة الرسل والأنبياء تحت راية الإسلام مردداً معهم قَسَم الإسلام: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٣٦].

هذا هو الإسلام دين الله ودين كل الأنبياء ودين كل من يؤمن بالله الواحد ولا يشرك به شيئاً ويصنع الخير ويجتنب

الشر، فهو المسلم. وقد صورها القرآن الكريم على لسان إبراهيم أبي الأنبياء في آيتين:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧/ ٥٩].
﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٥١].
والذين آمنوا بهذا الكلام وقالوا ﴿رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٤١/ ٣٠] هؤلاء هم المؤمنون المسلمون حقاً.

في التوراة يتجلى الله لنبيه موسى على الجبل يبلغه الوصايا التي يجب أن يسير عليها قومه ليكونوا مؤمنين مسلمين .**يقول سبحانه**: " أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء مما تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن... أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك..." (**سفر الخروج** ٢٠/ ٢-١٦).

وفي الإنجيل يأتي أحد الشباب إلى السيد المسيح عليه السلام يسأله أن يدله على طريق الفردوس وجنات النعيم، فيرد عليه سيدنا عيسى قائلاً: إن كنت تريد أن تدخل

الحياة فاحفظ الوصايا، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد الزور، أكرم أباك وأمك، أحب قريبك كنفسك".
(إنجيل متى ص ١٩/ ١٨ - إنجيل مرقص ص ١٠/ ١٩).

ثم يأتي محمد خاتم الرسل ﷺ ليقول: "بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه".

يقول الله تعالى لخاتم الرسل محمد ﷺ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤١/ ٤٣].

وعيسى عليه السلام يعلن لقومه: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل"
(إنجيل متى ص ٥/ ١٧).

هذا هو المسيح عليه السلام النبي المسلم، لم يأت إلى الناس بدعوة جديدة، ولم يدع الناس إلى تأليهه أو عبادته ولم يخرج عن دعوة أخوته الأنبياء التي جاؤوا بها جميعاً من لدن إلههم الواحد. يقول المسيح عليه السلام لقومه: "وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله" .**(يوحنا ص ٨/ ٤٠)**. ويقول أيضاً: "ما أتيت لأصنع مشيئتي بل مشيئة من أرسلني". (يوحنا ص ٦/ ٣٨).

والإسلام ليس مقصوراً على المؤمنين برسالة محمد ﷺ، وليس ديناً جديداً دعا إليه محمد، وإنما هو الدين كله عند الله منذ كان دين على الأرض، إنه دين الرسل والأنبياء والمؤمنين جميعاً، وجماع رسالات الله إلى أهل الأرض، جماع رسالات الإيمان والإخاء والتراحم، رسالات الخير والحب والسلام. وبهذا فإن أتباع محمد ﷺ لا يكفيهم ليكونوا مسلمين أن يؤمنوا بالقرآن رسالة من عند الله وبمحمد رسولاً من لدنه تعالى فحسب، ولكنه يجب عليهم أن يؤمنوا بكافة رسالات الله التي نزلت قبل القرآن، وبجميع الرسل الذين بعثوا قبل محمد عليه الصلاة والسلام، عليهم أن يؤمنوا بكافة رسالات الله وأن يصدقوا جميع رسل الله دون تفرقة بين رسالة وأخرى، ودون تمييز بين رسول وآخر.

من أجل هذا فإن من يكفر بموسى فهو ليس مسلماً، ومن ينتقص من عيسى فليس مسلماً، بقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٨٥].

لذلك فإن اليهود والمسيحيين الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهم السلام، عليهم أن يؤمنوا بمحمد ورسالته،

وإن لم يؤمنوا بنبوة محمد ورسالته فإنهم لم يعودوا مؤمنين مسلمين، ذلك أنهم أنكروا نبوة رسول من عند الله ورفضوا الإيمان برسالة أنزلها الله مثلهم في ذلك مثل من ينكر عيسى وإنجيله من أتباع محمد، أو من ينكر موسى وتوراته من أتباع عيسى، فهؤلاء المنكرون جميعاً ليسوا مؤمنين مسلمين، ولكنهم كفرة آثمون بقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٤/ ١٥٠-١٥٢].

ويقول الرسول محمد ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار".

دين واحد أنزله الله الواحد إلى البشرية جمعاء على فترات ومراحل ليتلاءم مع تطور البشرية ومراحلها متدرجاً معها منذ طفولتها، ثم يفاعلها وينضجها متوافقاً مع نمو عقول أفرادها وتفتح أذهان أبنائها.

دين واحد كان نبتة صغيرة في عهد آدم، وصار بمحمد شجرة ضخمة أصلها ثابت وفرعها في السماء. هذا هو الإسلام دين واحد لم يتغير، ودعوة واحدة لم تتبدل، ولكننا نحن البشر ذوي الأهواء والأغراض، وذوي الميول والنزعات، ومرضى النفوذ والزعامات، غيرنا وبدلنا وحذفنا وأضفنا وحوّرنا وصرّفنا. قسمنا الدين الواحد إلى أديان متعددة، ثم قسمنا كل دين منها إلى مذاهب مختلفة وطوائف متعارضة وملل متنافرة ونحل متضاربة. نسينا الله وعبدنا عباده، نسينا المرسِل وعبدنا المرسلين، نسينا الباعث وعبدنا المبعوثين، ثم خلقنا أدياناً جديدة من عندنا وصنفنا لها أرباباً ابتدعتها أهواؤنا.

إسلام واحد أنزله إله واحد إلى عالم واحد يدعوه إلى التوحيد والصلاح. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٩٢].

يقول جورج برناردشو: " لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، وأوروبة في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها، فبهذه

الروح يجب أن تفهموا نبوءتي. الإسلام دين خالد وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة، وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين السلام والعدل والتعاون، إنه دين المستقبل "[١].

ويقول المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي: " الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية العطرة يجدون أمامهم من الأسفار ما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام. إنني أدعو العالم إلى الأخذ بمبدأ الإخاء والمساواة الإسلامي، فعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام هي أروع الأمثلة على فكرة توحيد العالم، وإن في بقاء الإسلام أملاً للعالم كله "[٢].

ويقول بسمارك: " يا محمد إني متأثر جداً من أن لم أكن معاصراً لك. إن الكتاب الذي نشرته ليس من قريحتك، وإنكار ألوهيته هُراء. إن البشرية رأت قدوة ممتازة مثلك مرة واحدة ولن ترى ذلك مرة أخرى، فبناء على هذا أنا أعظمك بكمال الاحترام، راكعاً في حضورك المعنوي.

---

(١) من كتاب: ربحت محمداً ولم أخسر المسيح. د. عبد المعطي دالاتي.
(٢) نفس المصدر.

يقول الدكتور ميلر إنه أراد في أحد الأيام أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزز موقفه عند دعوة المسلمين للدين النصراني، وكان يتوقع أن يجد القرآن كتاب قديم مكتوب منذ ١٤ قرناً ويتكلم على الصحراء وما إلى ذلك، ولكنه ذهل مما وجد فيه، بل واكتشف أن هذا الكتاب يحتوي على أشياء لا توجد في أي كتاب آخر في هذا العالم.

كان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصيبة التي مرت على النبي ﷺ، مثل وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها، أو وفاة بناته وأولاده، ولكنه لم يجد شيئاً من ذلك، بل الذي جعله في حيرة من أمره أنه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن الكريم تسمى سورة مريم وفيها تشريف للسيدة مريم عليها السلام لا يوجد مثيل له في كتب النصارى ولا في أناجيلهم، ومما زاد تعجبه أنه لم يجد سورة باسم زوجته عائشة أو ابنته فاطمة رضي الله عنهما. وكذلك وجد أن عيسى عليه السلام ذكر بالاسم ٢٥ مرة في القرآن الكريم في حين لم يذكر اسم النبي محمد ﷺ إلا خمس مرات فقط. وأخذ يقرأ القرآن بتمعن أكثر لعله يجد مأخذاً عليه، ولكنه صعق بآية عظيمة وعجيبة، ألا وهي الآية رقم ٨٢ من سورة

النساء: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

ويقول الدكتور ميلر عن هذه الآية: "إن من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر هو مبدأ إيجاد الأخطاء أو تقصي الأخطاء في النظريات التي تثبت صحتها FOLRIFICATION TEST والعجيب أن القرآن الكريم يدعوا المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه على مر الدهر. ويقول أيضاً أنه لا يوجد مؤلف واحد في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتاباً ثم يقول عن هذا الكتاب أنه خالٍ من الأخطاء، ولكن القرآن الكريم على عكس ذلك يقول لك أنه لا يوجد أخطاء ويعرض عليك أن تجتهد لتجد فيه أخطاء ولن تجد".

ومن الآيات التي وقف عندها الدكتور ميلر طويلاً، الآية رقم ٣٠ من سورة الأنبياء: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾. يقول أن هذه الآية هي بالضبط موضوع البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل في عام ١٩٧٣ وكان عن نظرية الانفجار الكبير، وهي تنص أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون

بما فيه من سماوات وكواكب، فالرتق هو الشيء المتماسك، في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك. ويقول عن تتمة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أن هذا الأمر من العجائب، حيث أن العلم الحديث أثبت مؤخراً أن الخلية الحية تتكون من السيتو بلازم الذي يمثل ٨٠٪ منها والسيتو بلازم مكون بشكل أساسي من الماء، فكيف لرجل أمي عاش فبل ١٤٠٠ سنة أن يعلم كل هذا لولا انه موصل بالوحي من السماء.

والدكتور ميلر اعتنق الإسلام عام ١٩٧٧ وألقى عدة محاضرات في العالم يدعو فيها إلى الإسلام، وأجرى الكثير من المناظرات مع رجال الدين المسيحي الذي كان هو أحدهم. وقال موجهاً كلامه للمسلمين: " أيها المسلمون، لو أدركتم فضل ما عند غيركم لسجدتم لله شكراً أن أنبتكم من أصلاب مسلمة ورباكم في محاض مسلمة، ومنّ عليكم بهذا الدين. لو نظرتم إلى مدلول الألوهية، والرسالة والنبوة والبعث والحساب والجنة والنار عندكم وعند غيركم لسجدتم لله شكراً أن جعلكم مسلمين. لأن هذه المفاهيم عند أصحاب الديانات الأخرى مفاهيم لا يرتضيها العقل السوي ولا الفطرة السليمة ولا المنطق السليم.

ولا ننسى العلماء أمثال الدكتور الفرنسي الجراح موريس بوكاي، والبروفسور كيث موار، رئيس قسم التشريح في جامعة تورنتو، والعالم روجيه غارودي، والعالم الياباني مدير مرصد طوكيو الفلكي بروسو لروزاي، الذين سارعوا إلى اعتناق الإسلام بعد أن تبين لهم أن القرآن الكريم يحمل كل مكتشفاتهم والحقائق العلمية التي توصلوا إليها. وبعد أن تأكد لهم أن هذا الكتاب لا يمكن أن يمليه رجل أمي منذ ١٤٠٠ عام بل إنه من لدن حكيم عليم.

يقول المؤرخ وعالم الرياضيات والفلك "ما يكل. هارت" : "حيث أنه يوجد على وجه التقريب من المسيحيين ضعف عدد المسلمين في العالم ،يجوز بطبيعة الحال أن يبدو غريبا أن أعتبر أن محمدا ﷺ أعلى في الدرجة وأولى بالتقديم من حيث التأثير في تاريخ العالم عن عيسى عليه السلام.ويوجد سببان رئيسيان لهذا القرار.أولهما هو أن محمدا ﷺ قد لعب دورا أكثر أهمية في تأسيس وتطوير الدين الإسلامي من الدور الذي لعبه عيسى المسيح عليه السلام في تطور الديانة المسيحية. وعلى الرغم من أن سيدنا عيسى عليه السلام يعتبر

مسؤولا عن الجوانب الرئيسية الأخلاقية في الديانة المسيحية من حيث اختلافها عن الأخلاقيات اليهودية فلقد كان القديس بولص هو المسؤول الرئيسي عن تطوير اللاهوت المسيحي وهو الذي وضع أسس الدعوة إلى الدين المسيحي والقديس بولص هو الذي كتب كمية كبيرة من العهد الجديد.

ولقد كان محمد ﷺ هو المسؤول الوحيد عن الإسلام في جانبه اللاهوتي وجانبه الأخلاقي على حد سواء.وبالإضافة إلى ذلك قام محمد ﷺ بالدور الرئيسي في وضع أسس الدعوة إلى دينه الجديد ووضع قواعد العبادات في الإسلام" . **كتاب "أعظم مائة" ص.٣٨-٣٩.**

وقول **هارت** في مكان آخر من كتابه "إن اختيار محمد ﷺ ليكون إلى رأس قائمة أكثر الأشخاص تأثيرا يجوز أن يدهش بعض القراء ويجوز أن يثير بعض التساؤل لدى أشخاص آخرين. ولكنه كان هو الرجل الأوحد في التاريخ الذي اكتمل له التوفيق النام على المستوى الديني وغلى المستوى الدنيوي." **(كتاب المائة: ترتيب اكثر الأشخاص تأثيرا في التاريخ)** نيويورك شركة هارت للنشر سنة ١٩٧٨ ص. ٣٣.

يقول "ماسر مان" المحلل النفسي الأمريكي وأستاذ علم النفس في جامعة شيكاغو "إن القادة يلزم أن يؤدي كل منهم ثلاث وظائف في غاية الأهمية:

الأولى أن يحقق مصلحة للجماعة التي يقودها.

الثانية: أن يوفر لأتباعه نظاما اجتماعيا يشعر فيه الناس بالأمن.

الثالثة: أن يكون قادرا أن يمد اتباعه بمجموعة متسقة من العقائد ا لصحيحة ويصل في نهاية بحثه وتحليله إلى أن يقول: "ربما كان أعظم قائد في كل عصور التاريخ هو محمد ﷺ فهو وحده الذي جمع المزايا الثلاث والمزايا الثلاث للقائد وكان موسى عليه السلام أقل منه درجة.

يقول **البروفيسور الهندي دبوان شاند شارما** في كتبه المعنون "أنبياء من الشرق" كالكوتا ١٩٣٥: "كان محمد ﷺ هو روح الرحمة ولقد بقي تأثيره باقيا خالدا على مر الزمان لم ينسه أحد من الناس الذين عاشوا حوله ولم ينسه الناس الذين عاشوا بعده".

ويقول الدكتور جون وليم درابر في كتابه " تاريخ

التطور الفكري في أوروبا " لندن ١٨٧٥ : "بعد مضي أربعة أعوام لوفاة الإمبراطور ستنيان في سنة ٥٦٩ بعد الميلاد ولد في مكة في شبه الجزيرة العربية الرجل الذي مارس أعظم تأثير على كل الرجال في العالم.

ويقول جورج برنارد شو في كتابه "عظمة الإسلام" المجلد الأول رقم ٨١٩٣٦: " لقد عكفت على دراسة كل تفاصيل سيرته -إنه الرجل الفذ العظيم وهو من وجهة نظري غير معاد وغير معارض للمسيح عليه السلام ومن اللازم أن نطلق عليه منقذ البشرية".

ويقول ر.بوسويرث سميث في كتابه "محمد والديانة المحمدية" ١٩٤٦ : "بمصادفة فريدة كل التفرد في التاريخ يعتبر محمد ﷺ مؤسسا لامة من الأمم ومؤسسا لإمبراطورية من أكبر الإمبراطوريات ومؤسسا لدين من اعظم الأديان.

وقد ورد في الانسيكلوبيديا البريطانية -الطبعة الحادية عشر: "كان محمد ﷺ هو الشخصية الأكثر نجاحا بين كل الشخصيات الدينية".

يقول توماس كارلايل وهو واحد من أعظم المفكرين

في القرن الماضي في محاضرة بعنوان "الأبطال وعبادة البطل" : "كانت أمانة الرجل العظيم وإخلاصه في حمل الأمانة من النوع الذي لم يستطع أن يجيز فيه لنفسه أن يتحدث عنه أو يطريه.بل انه على النقيض من ذلك كان كل وعيه منصرفا إلى الحذر من أن تتسلل إلى نفسه ذرة من ذرات انعدام الأمانة. وأي رجل ذلك الرجل الذي يستطيع أن يمشي كما ينبغي لمدة يوم واحد وهو يحمل فوق كتفيه مسئولية الحفاظ على شريعة الله الحقيقية".

انتشار الإسلام بالسيف

إن أكبر الجرائم التي ارتكبها محمد ﷺ هو نشر دينه بالسيف هذا ما يزعمه الغرب فهو لم يرتض أن يذبح أو أن يصلب على يد أعدائه لقد دافع بكل شجاعة وبكل مهارة وبكل اقتدار دافع عن نفسه وعن أسرته وعن اتباعه وتغلب في النهاية على كل أعدائه ولم يكن في نظرهم يؤمن بقداسة التضحية بنفسه من اجل أن يغتفر للبشر خطاياهم.

يقول جيبون في كتابه عن اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية: "من الطبيعي ونزولا على مقتضيات قانون الطبيعة التي لا جدال فيها أن لكل شخص

الحق في أن يدافع عن نقسه وان يدافع عن ممتلكاته وان تصل مقتضيات دفاعه عن نفسه إلى كل الآفاق المعقولة التي توفر له الأمن والقدرة على رد الأعداء عن موطنه".

ولقد ورد في إنجيل متى "الإصحاح العاشر " فقرة ٣٤ قول المسيح عليه السلام: "لا تظنوا أتي جئت لألقي سلاما على الأرض ما جئت لألقي سلاما بل سيفا.فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها

والكنة ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته.من أحب آبا أو أما أكثر مني فلا يسحقني".

يقول دولاسي اوليري: "أن التاريخ يؤكد بما لا يدع مجالا لأي شك أن خرافة الاجتياح البربري لمساحات شاسعة من الأرض وإجبار الناس على الدخول في الإسلام بقوة السلاح فوق رقاب الشعوب المغلوبة على أمرها إنما هي خرافة خيالية مضحكة عارية تماماً عن الصحة وبعيدة كل البعد عن الحقيقة على نحو نادر المثال في دنيا التاريخ وقي عالم المؤرخين".

دولاسي اوليري - كتاب "الإسلام في مفترق الطرق" لندن ١٩٢٣.

يقول المهاتما غاندي في كتابه شباب الهند: "كلما درست أكثر اكتشفت أن قوة الإسلام لا تكمن في السيف.

وتقول بانديت حيانا ندراديف تشارما شاسترى أثناء لقاء تم عقده في جورا كفور بالهند سنة ١٩٢٨ : "انهم منتقدوا محمد ﷺ يرون النار بدلا من أن يشاهدوا النور ويستسيغون القبح بدلا من الاستمتاع بالجمال إنهم يخرفون ويعتبرون كل فضيلة وميزة وكأنها رذيلة مستهجنة.إن ذلك إن دل على شئ فهو يدل على أنهم محرومون من نعمة التمييز وحسن الإدراك.

إن منتقدي محمد ﷺ إنما هم جماعة من العميان إنهم لا يدركون أن السيف الوحيد الذي شهره وشرعه محمد كان سيف الرحمة والتعاطف والصداقة والتسامح.إنه السيف الذي يهزم الأعداء وينظف قلوبهم من الغضب والحقد والحسد والكراهية.لقد كان سيفه أمضى من السيف المصنوع من الحديد الصلب".

ويقول الشاعر الفرنسي الشهير لامارتين في كتابه "تاريخ الأتراك" باريس ١٨٥٤ : لو كانت عظمة الهدف أو الغاية وكانت بساطة و ضآلة تكاليف الوسيلة بالإضافة إلى

تحقيق النتائج الباهرة بنجاح وسلاسة هي المعايير الثلاثة للعبقرية البشرية فمن الذي يجرؤ أن يقارن أي رجل عظيم من عظماء التاريخ الحديث بنبي الإسلام محمد ﷺ.إنه فيلسوف - خطيب - رسول من رسل الله - مشرع - محارب منتصر الفكر مساند للعقائد المعقولة هادم للأصنام بمختلف صورها.مؤسس عشرين إمبراطورية دنيوية أرضية وإمبراطورية روحية واحدة.ذلكم هو محمد ﷺ وبكل المقاييس والمعايير التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر يجوز أن نسأل سؤالا له كل الوجاهة وكل الدواعي: هل يوجد أي رجل أعظم من محمد ﷺ".

واليوم فإن الإسلام لا يزال ينتشر في كل أنحاء العالم دون أن يكون للمسلمين سيوف مسلطة على رقاب الناس. لقد حكم المسلمون أسبانيا لمدة ٧٣٦ سنة وبعد ثمانية قرون تم إبعادهم عنها ولم يبق مسلم واحد يقيم الآذان ولو كان المسلمون استخدموا القوة العسكرية لما بقي فوق أرض أسبانيا مسيحي واحد.

ولقد كان المسلمون سادة الهند لمدة ألف عام ولم يجبروا الهندوس على اعتناق الإسلام حيث يقول دينهم "لا إكراه في الدين".

وفي إندونيسيا اليوم أكثر من مائة مليون مسلم وبالرغم من ذلك لم تطأ أقدام أي جيش للمسلمين الأرض في أكثر من ألفي جزيرة في إندونيسيا.

وينطبق هذا الكلام أيضا على ماليزيا وأغلب سكانها الآن مسلمين. وأين السيف في أفريقيا فإن أغلبية الناس الذين يعيشون فوق أراضي السواحل الشرقية حتى موزمبيق وفوق السواحل الغربية مسلمين ولكن التاريخ لم يسجل أي غزوات للمسلمين في هذه الأقطار الأفريقية.لقد قام التاجر المسلم بإنجاز كل المهمة إن سلوكه الطيب والتزامه الأخلاق الحميدة في المعاملة مع الناس قد حقق معجزة انتشار الإسلام بين الناس في تلك الأقطار.

ونحن لا نجد أن الدين المسيحي قد نبذ السيف على مدار تاريخه عندما استطاع الدين المسيحي الحصول على السيف ولم يتمكن شارلمان من تحويل الساكسونيين إلى اعتناق المسيحية بمجرد التبشير النظري القائم على أساس من الإقناع وحده.

وأخيراً ندعو الله العلي القدير أن يهدينا سواء السبيل وأن يجعل الخير سبيلنا والحق طريقنا ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

